تـقـديـم

بقلم الأستاذ الدكتور أحمد عبد الغفار عبيد . الأستاذ بجامعة الأزهر
وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية .

أعزائي القراء . هذه باقة يانعة يفوح من أفيائـــها عبـق الإيمـــان ، وتشع من بين سطورها روح إسلامية صادقة ، لعلها نتاج إيمان عميق ، ورغبة صادقة في أن يتذوق حلاوة هذه المعاني والمعالي كل مسلم وكل مسلمة يقع هذا الكتاب الطيب بأيديهم .

وقد حرصت المؤلفة – جزاها الله خيراً – أن تسجل تلـــك المعـــالم الإيمانية التي تهدي إلى طريق الجنة ، وتبعث على العمل لمـــا يرضـــي الله عز وجل ليعم نفعها ، ويفيض خيرها على كل من يسعى للتزود مـــن معين التقوى ، وروافد الهداية الربانية التي يقيض الله عز وجـــل لـــهذه الأمة من ييسر لها الأسباب ، ويزيل من دروبها العوائق ، ويصفي مـــن مساربها الأكدار !! .

ومن الإنصاف أن أقرر أن المؤلفة قد وفقت في أن تحشد في كتابـــها هذا قطوفا دانية من دوحة الإسلام العامرة ، جمعت فيها نفائس ولطـــائف وأزاهير متنوعة الأشكال والألوان والعبق ... ! منها ما يتصل بـــالعقيدة وثوابتها ومقوماتها ، ومنها ما يرتبط بالعبادات والمجاهدات ، ومنها مـــا يتعلق بالأخلاق والرقائق وتزكية النفوس ، ومنها ما يدخل فـــي نطـــاق سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وجهاده وعنائه في تبليغ الدعـــوة ، وصبره على الأذى ، وهديه في شتى الأمور ... ، ومن ثـــمَّ جـــاءت الوصايا والنصائح التي ضمها هذا الكتاب ـــ معالم هدايـــة وأمـــارات دالة على طريق الجنة ، كما ذكرت المؤلفة ، وكما يستوحى من عنـــوان الكتاب ، وهو طريق آمن ، تحفه الظلال الوارفة ، وتكتنفه الطمأنينـــة ، وتحرسه السكينة ، ويسلكه السالك فيجد الأمن والرضا ، في غير نصـــب

ولا عناء ، إذ تسلمه كل مرحلة من مراحل الرحلة الراشدة إلى التي تليها في رضوان من ربه ، ورشد من أمره ، بعيداً عن التيه والتخبط ، وفي مأمن من العوائق والعثرات . ولا غرو في ذلك فإن السالك لهذا السبيل يكون عبدا طائعا ، يمتثل أمر ربه ، ويجتنب ما نُهِيَ عنه وحُذِّر منه ، فهو يبدأ المسير وأمله عظيم في بلوغ غايته، وتحقيق حلمه في الفوز بموعود ربه الذي بلّغه في كتابه الكريم ، وأكده في هدي رسوله صلى الله عليه وسلم.

والكتاب في مجمله يحوي جرعة مهمة من الثقافة الإسلامية الميسرة ؛ لينتفع بها على وجه الخصوص من لم تتح لهم فرصة الدراسة المنهجية ، فهو لا يصعب فهمه أو استيعاب ما به من حقائق على من لديه أوليات المعارف والثقافات العامة . ولعل المؤلفة قصدت ذلك قصدا؛ لأنها حرصت على تيسير المعلومة وتقديمها للقراء في قالب سهل مفهوم ، فاختصرت كثيراً من النقول التي يسوغ اختصارها ، وروت بعض الآثار بالمعنى بما لا يُخِلُّ بمضمونها ، ولا حرج في ذلك طالما أنها حافظت على السياق ، ولم تخلط بين المسائل . وهذا لا يقلل من أهمية ما أوردته في كتابها من حقائق ؛ لأن قصدها التيسير والتقريب، وحسبها أنها لم تخرج فيما كتبته أو دوّنته عن صميم الحقائق الإسلامية المقررة التي لا خلاف عليها ، ولا مماراة في صحتها.

والله أسأل أن يثيبها على حسن صنيعها ، وأن يبارك جهدها ، ويجعله في ميزان حسناتها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . إنه ولي ذلك والقادر عليه . والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ د/ أحمد عبد الغفار عبيد

الإسكندرية – جمادى الآخرة ١٤٢٢م

أغسطس ٢٠٠١م

مقدمة الكتاب:

إن الحمد لله . إله الأولين والآخرين . والصلاة والسلام على خير البرية صفوة خلقه ، وخاتم أنبيائه ورسله ، سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين .

أحمده سبحانه أن وفقني لإعداد هذا الكتاب بعون منه وتوفيق ، وهو سبحانه الذي بنعمته تتم الصالحات . سبحانه سبحانه ! كشف القناع عن الغافلين ، وأرشد الخلق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأيده بالكتاب المعجز ليكون مشعل هداية لإسعاد البشر في دينهم ودنياهم . وأول ما يدعوهم إليه الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، لا يشاركه أحد في ملكه ، ولا ينازعه في قدرته ، ولا يعارضه في مشيئته ، وأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى السير في الأرض والنظر في عواقب المكذبين الجاحدين ن كما أمرهم بالتأمل في ملكوت الله جل شأنه ، والتدبر في عجائب قدرته ، وبدائع خلقه ، وبيَّن لهم مقدار النعيم الذي أعده الله عز وجل للطائعين ، والنكال الذي رصده للمكذبين .

وقد أردت بما أسوقه للقراء في هذا العمل المتواضع أن أضع بعض المعالم على طريق الهداية وسبيل الجنة عسى أن يهتدي بها من يوفقه الله عز وجل ويجعله من السعداء ، كما حذرت من مغبة الجحود والكفران أعاذنا الله من سلوك سبيل الغواية وهدانا بمنه وفضله إلى سواء السبيل . كما أسأله سبحانه أن يرقق بما سطرته في كتابي هذا القلوب المؤمنة ، والنفوس المطمئنة ؛ لتزداد إيمانا مع إيمانها . كما آمل أن يكون مبعث هداية للعصاة البعيدين عن سبيل ربهم فيعودوا إلى ساحات الطاعة والعبودية الحقة لله عز وجل . إنه نعم المولى ونعم المجيب .

كما لا يسعني إلا أن أسجل شكري وتقديري للأستاذ المفضال الأستاذ الدكتور / أحمد عبيد عميد كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية على تفضله – بتواضع محمود – بمراجعة المادة العلمية لهذا الكتاب والتقديم له سائلة المولى عز وجل أن يجزيه خيراً ويكثر من أمثاله ، وأن يمتعه الله عز وجل بالعافية ويتم عليه نعمته .

وآخر دعوانا " .. أن الحمد لله رب العالمين ".

المؤلفة .

من معالم الطريق إلى الجنة ...
الاعتقاد بوحدانية الله عــزّ وجل .

الوحدانية هي الركن الأساسي مــن أركــان الإيمــان ، وهــي رأس العقائد، وتعني الإقرار بأن الله عز وجل واحد ، ليس له شريك ، ولقــد دعا الإسلام إلى الإيمــان بوحدانيــة الله ، وإفــراده بــالخلق والتدبــير والتصرف ، وأن ينزهه العباد عن أن يكون لــه مشــارك فــي العــزة والسلطان . فهو سبحانه الخالق لا خالق غيره ، وهو المدبر ولا مدبــر سواه . وتوحيد الله سبحانه فرض عين على كــل مكلــف ، يجــب أن يحققه ويؤمن به ، قبل أن يؤدي العبادات ، ويقصَد بتوحيد الله عز وجل الإرار بأنه الإله المعبود الذي لا شريك له ، كمــا يعنــي نفــي المثــل والنظير والشريك ، ومن ثم يكون التوجه بالعبادات العملية ، والقلبيــة ، والدعاء والرجاء ... إليه وحده . وهو حق على العباد بــاليقين المنــافي للشك ، وبالصدق المنافي للكذب .. ، ومَــنْ حقَّــق التوحيد دخل الجنــة. قال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهــم مهتدون) الأنعام / ٨٢ .

ويتصل بالتوحيد لله أن يحقق العبد الأصول الثلاثة وهــي : معرفــة العبد ربه ، ودينه ، ونبيه صلى الله عليه وسلم . فمعرفة الله عز وجــل تقتضي معرفة آياته ومخلوقاته ، ومن آياته الليــل والنــهار والشــمس والقمر ... ، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون وما فيهن ومــا بينهن ... ، فمن عَــبَــدَ الله بالحب والخوف والرجــاء فــهو المؤمــن الموحد الذى يعتمد بقلبه على ربه ، ويستند إليه ، ويطمئن إلى تدبــيره مفوضا أمره كله إلى الله في جلب مصالح دينه ودنياه . فإعتماده وثقتــه بالله حصنته من خوف الأسباب ، وأيضا العــدل فــي حقــوق الله بــأن تصرف نعمه في طاعته ، ولا يستعان بشئ منها على معصيته ــ قــال تعالى (قُلْ أغيْرَ اللّهِ أتخِذُ وَلِياً فَاطِرِ السّمَاوَاتِ والأرض وهوَ يُطْعِمُ ولا

يُطعَمُ) الأنعام /١٤ .

والإيمان بالله الواحد الأحد معناه الإعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شئ . قوة غير محصورة ، ورحمة غير متناهية وكرم غير محدود ـــ وياعجباً كيف يُعصى الإله ؟! أم كيف يجحده الجاحد ؟! وفي كل شئ له آية ـــ تدل على أنه واحد إله قدير رحيم يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، ويمنح الجزيل من النعم ويغفر الذنوب ، ويقبل التوبة ، ويعفو عن السيئات ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل !! .

وأصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله عليه السلام من الأسماء الحسنى وأن تحصيها القلوب حتى تتأثر بأثارها ومقتضياتها ، وتمتليء بأجل المعارف فمثلا أسماء العظمة والكبرياء ، والمجد والجلال ، والهيبة تملأ القلوب تعظيما لله وإجلالاً له . وأسماء الجمال والبر والأحسان والرحمة ، والمغفرة ، والوجود تملأ القلوب محبة ، وشوقا له ، وحمداً له وشكراً . وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعا وخشوعا وإنكساراً بين يديه . وأسماء المعرفة والخبرة والإحسان والإحاطة ، والمراقبة ، والمشاهدة تملأ القلب خشوعا وخضوعا لله ، ومراعاة مراقبة له سبحانه في الحركات والسكنات ، وحراسة الخواطر عن الأفكار الرديئة ، والإرددات الفاسدة، وهذه المعارف من روح التوحيد ، وهى أفضل العطايا من الله عز وجل ذي الفضل والمنّ . قال تعالى : (بَلِ اللَّه فَاعْـبُدْ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِين) الزمر/ ٦٦ . وقال عليه الصلاة والسلام : " احفظ الله يحفظك

احفظ الله تجده أمامك ، وإذا سألت فسأل الله وإذا إستعنت فاستعن بالله ، ولو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله تعالى عليك لم يقدروا عليه ".

والتوحيد المطلق هو الحق الذى غالى به الإسلام ، وبسط آياته في كل أفق ، ومحبة الله في قرآة القرآن ، والتدبر والتفهم لمعانية وتأدية النوافل بعد الفرائض ، ودوام ذكره سبحانه باللسان والقلب ، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، ومشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الظاهره والباطنة ، ومباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل ، وأعظم نعيم حب الله وعبادته ، والأنس به والشوق إليه كما أن أعظم نعيم أهل الجنة في النظر إلى وجهه الكريم ؛ لذا جمع الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه : " ... ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ...".

وكلمة الإخلاص هى الحادي الذي لا يمل نداءه ولا يتلاشى صداه وهى كلمة لا إله إلا الله وهى مفتاح الأمل في الدنيا والآخرة ـ فالإيمان بالله هو أساس العلاقة بين المولى سبحانه وتعالى وبين عباده المؤمنين ، وبتحقق الإيمان ورسوخه في قلب العبد المؤمن يكون الأمل في ثواب الله وجنته .

ومن معالم الطريق إلى الجنة ...
الإيمان ، وحفظ الأمانة .

الإيمان ـ ما وَقَــرَ في القلب وصدّقه العمل ، والعمل تنفيذ ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، وألاّ يشرك العباد مع الله أحدا ، وألا يستعينوا إلا به ، وألا يتوكلوا إلا عليه ، ثم هم لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجانبه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ، وأن أفضل المؤمنين من كان في فعله وقوله متصفا بالأمانة قال عليه الصلاة والسلام : " لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا

عهد له " فالإيمان يثمر الأمانة ، وبالإيمان والأمانة يسود الأمن في شتى شئون الحياة ــ فالإنسان الذى أشرب قلبه الإيمان بالواحد المعبود ، الرقيب على كل شيء لا ريب أن يكون أمينا . فإذا أدَّى المؤمن أمانة الكلمة فقد قضى على الكذب والغيبة ، وقول الزور ، وإذا أقام المؤمن بأداء أمانة العين المبصرة فقد امتنع عن وقوع البصر على ما حرمه الله ورسوله ... ، فالإيمان أمانة الله في الأرض لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة ، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص !! فالإيمان ليس كلمة تقال وإنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانات ذات أعباء ، وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال .

فالتوكل على الله جُماع الإيمان ، وهذا هو إخلاص الاعتقاد بوحدانية الله ، وإخلاص العباد له دون سواه . فلا يمكن أن يجتمع في قلب واحد توحيد الله والتوكل على أحد معه سبحانه ، وليس الاتكال على الله وحده بمانع من اتخاذ الأسباب . فالمؤمن يأخذ بالأسباب من باب الإيمان بالله وطاعته فيما يأمره به من اتختذها ، ويستوفيها بقدر طاقته لينال ثواب الله فيها ليثبت وجوده ويترجم عن حقيقته .

قال عليه الصلاة والسلام : " ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل " .

ولتعريف الإيمان الذى يريده رب العالمين قال رب العزة جل وعلا: (إنما المؤمِنونَ الذين إذا ذُكِر اللّه وجِلتْ قُلوبُهُمْ ، وإذا تُلِيتْ عليهم آياتُهُ زَادَتْهُم إيمانا وعلى ربهم يتوكلونَ ، الذين يُقِمونَ الصَّلاة ، ومما رزقناهُمْ يُنفقون أولئك هُمُ المؤْمِنون حقاً لهُم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريمٌ) الأنفال / ٢-٤.

والقرآن الكريم يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة ، ولا يحول بينه وبين المعرفة سوى الكفر الذى يحجبه عن القلب ، ويحجب القلب عنه فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن ووجد

في إيقاعه المتكرر زيادة في الإيمان تبلغ إلى الإطمئنان !! تلك هى الصفات التى حدد الله بها الإيمان . وهى تشمل الإعتقاد بوحدانيـة الله ، والاستجابة الوجدانية لذكره ، والتأثر القلبى بآياته والتوكل عليه وحـده ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق من رزقه في وجوه الخير . فـالمؤمن الحـق يجد هذه الصفات في نفسه وفي عمله . قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاهـا قـول لا إلـه إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان " .

وأركان الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكتـه ، وكتبـه ، ورسـله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ... ، والإيمان لباسـه التقوى ، وريشه الحياء ، ورأس ماله العفة ، وهو باب الجنة ، ومفتـاح الأمل ، ومناط الرجاء ، والأمانة مقترنة بالإيمان ، ومرتبطة به ، وبقـدر إيمان المرء تكون أمانته ، وإذا رفعت الأمانة فلا إيمـان . ولقـد جـاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : " حدثني عن أشـد شيء في هذا الدين وألينه ؟ فقال عليه السلام : " ألين شئ في هذا الديـن (لا إله إلا الله) وأشد شيء في هذا الدين الأمانة ، فإنه لا إيمان لمـن لا أمانة له " .

وحياة الإنسان وما كلفه به الدين مجموعة أمانات مطالب بألا ينحـرف عنها . والأمانة في أصل معناها اللغوي مشتقة مـن الأمـن أى عـدم الخوف ، وطمأنينة النفس يقال أمنته على الشيء ، وائتمنته عليـه : أي أودعته إياه . فهناك أمانة استودعها الله الإنسان وهى (الدين) فواجـب كل إنسان أن يكون متدينا أى مؤتمرا بما أمر الله منتهيا عما نُهيَ عنـه، وإلا كان مفرطا خائناً للأمانة . قال تعالى : (ياأيُّـها الذيـن آمَنُـوا لا تَخُونُوا اللّه والرسُول ، وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنتم تعلمون) الأنفال / ٢٧ .

والإسلام يعد الإنسان متجردا من الإيمان إذا هو لم يـؤد الأمانـة . روى الشيخان وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " آيـة

المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان

والكذب وخلف الوعد هما الخيانة بالقول ، وعدم رد الأمانة أو الوديعة هو خيانة بالفعل ... ، وهكذا علينا أن نفهم من هذا الأمر العام الشامل المتمثل في قوله عز من قائل : (إنَّ الله يأمُرُكُمْ أن تُؤَدُّوا الأمانات إلى أهلِها) النساء / ٥٨ . فنفهم أن ليس المقصود فقط هو الودائع التى أودعت لدى الإنسان ، بل هو أمر عام شامل لكل أمانة تحملها الإنسان ، ولزمه أداؤها على الوجه الأكمل وإلا كان خائنا للأمانة . فالدين هو قوام كل شيء في الحياة ومن لا دين له لا أمانة له، والإنسان الحريص على أداء التكاليف الإلهية تكون نفسه مفعمة بالثقة في الله عز وجل ، والرغبة الصادقة في أداء أماناته لديها .

ومن الأمانات :

(1 أمانة بين المرء ونفسه ، وهى حفظ لجوارحه الموهوبة له من الله حتى لا تضل الطريق السويَّ وتنحرف عن فعل الخير ـ فالسمع ، والبصر والقلب ، واليد ، والرجل ، والقوة ... ـ أمانات لابُدَّ للإنسان معها من تقوى الله ، والتثبت والمحاذرة لقوله تعالى : (ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمعَ والبصرَ والفؤادَ كُلُّ أولئِكَ كان عنْهُ مسئُولاً) الإسراء /٣٦ .

(2 وأمانة بين المرء وسائر الناس . ويتوقف النجاح فيها على الإيمان بحرية الناس والإحساس بكرامتهم وأقدارهم . فالعرض أمانة ، والمال أمانة ، والدم أمانة ... قال عليه الصلاة والسلام : " كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه " .

(3 وأمانة بين العبد وربه ، وهى التكاليف الشرعية ، والفرائض الربانية التى طالب اللّه بها ، وهى المقصود بقوله تعالى : (إنَّا عَرَضْنَا

الأمانة على السَّماواتِ والأرْضِ والجبـال فـأبين أن يحْمِلْـنها وأشفقنَ مِنْها وحملها الإنسانُ إنَّهُ كان ظَلوماً جَـهُولاً) الأحـزاب / ٧٢ . والآية تعبر عن تحمل الأمانة ، وهي في جوهرها أمانة صعبة تتمثل في تحمل أعباء التكليف وحرية الإرادة ، ومسئولية الاختيار ؛ فقد أبتْ كـل المخلوقات الأخرى ، وتقاعست عن حمل هـذه الأمانـة ؛ خوفـا مـن التقصير في القيام بحقها والوفاء بأعبائها ، ولكن الإنسان اختـار لنفسـه الطريق الصعب الذي يليق بمكانته عند الله سبحانه وتعالى ، ويتناسـب مع ما وهبه الله من قدرات . فالإنسان ميزه الله بالمركز الممتـاز بيـن الخلائق أجمعين ، فاختصه الله بالتكريم ، واختصـه بـالعقل وجوهـر التفضيل يتجلى في ذلك السر الذى أودعه الله فيه والمشار إليه في قولـه تعـالى : (فـإذا سَـوَّيْتهُ ونَفَخْـتُ فيـه مـن رُوحـي فقعُـوا لـه ساجِدِينَ) الحجر /٢٩.

وهذا السر هو معنى الإنسانية والذى من أجله أمـر الله الملائكـة أن يسجدوا لآدم اعترافا بفضله ، وإذعانا لأمر الله والسجود لتعظيم الإنسـان على غيره من المخلوقات ، والإنسان ليس بقدرته البدنية بـل بكفاءتـه المعنوية ، ولم يطلب الله من الملائكة أن يسجدوا لآدم أبى البشـر لمـا منحه من قوة جسمية ، وإنما لما منحه من قدرات أدبية ، والإنسان هـو الكائن الوحيد الذى سيحاسب لأنه هو وحده المسئول عن كل ما يصـدر منه من تصرفات . قال تعالى : (كل نفـس بمـا كسـبت رهينـة) المدثر / ٣٨ . وقال سبحانه : (لا يكلف الله نفسا إلا وسـعها لـها مـا كسبت وعليها ما اكتسبت) البقرة / ٢٨٦. وقال عليه الصلاة والسـلام : " أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانـة ، وصـدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة في طعمة " . فهذا الحديث جمع أمـهات الخلال الكريمة ، وأصدق ركائز الإيمان ؛ فالخليقة : الخلق والعفـة : التنزه والكف والترك ، والطعمة : المأكل أي طريق تحصيل الـرزق ،

فإذا عمر قلب العبد بالإيمان وقام بحق الأمانات المسندة إليه نـــال رضاء الله وثوابه .

إقامة أركان الإسلام الخمسة :

يقول النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بُني الإسلام علـــى خمـــس " شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصـــلاة ، وصـــوم رمضـــان ، وإيتـــاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا " .

(1 فالشهادة : هى الإقرار بأن الله لا إله إلا هو وحده المتفرد بالألوهية، لا شريك له ولا معبود بحق سواه ، فقد بث سبحانه وتعالى في الكـــون دلائل وآيات وحدانيته ، وتفرده بالألوهية . والنطق بالشهادة بـــإخلاص من القلب دلالة الإيمان وحب الله وأنه واحد لا شريك له ، وأن محمـــدا نبي الله ورسوله ، وبشير الهدى والإيمان ــ فالمؤمن المسلم يعتز بـــهذه الشهادة ــ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والنطـــق بـــها فرض على كل مسلم ، والشريعة الإسلامية طلبت من العبـــد التعـــرَف على ربه عن طريق التفكر في ملكوته وبديع صنعه وعجائب مخلوقاتـــه؛ ليزداد فيه الجانب الروحي رسوخا فيضيء نور الإيمـــان أرجـــاء قلبـــه وتتعلق روحه بمصدر الوجود وعندئذ يهتدي إلى ما يجب لخالق الوجـــود من تقديس وتعظيم ويشهد بأنه لا إله إلاهو له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير .

(2 أما الصلاة فيجب التطهر قبلها ، وذلك بالوضوء ولا وضوء لمـــن لم يذكر اسم الله عليه ، وهي الركن الثانى من أركان الإســـلام ، وهـــى خمس فروض ، وهى من أعظم ما بيّنه الرسول صلى الله عليـــه وســـلم للمسلمين قولاً وفعلاً ، وقد خص الله عز وجل الصلاة من بين طاعاته ، فجعلها الرابطة بينه وبين عباده ، وفرضها من فـــوق ســـبع ســـموات ، وجعلها مفرجة للكرب ، ومزيلة للهموم ، وميســـرة للـــرزق ، ومفتـــاح

الصحة والسلامة ، وهي طمأنينة في القلب ، وسكون في النفس وعون على مصاعب الحياة !! وهي حصن المؤمن في الدنيا يحمي بها نفسه من الشيطان ، وهي عماد الدين ، ورأس القربات ، ودرة الطاعات ، فمن حافظ عليها سعد بها في الدنيا ، وكانت له أنسا في وحشته ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهى مرضاة للرب ، وهي شُغل الملائكة ، وسنة الأنبياء ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاء ، وثقل في الميزان ، وجواز على الصراط ، ومفتاح للجنة ... وفي الصلاة تحميد ، وتسبيح ، وتقديس ، وتعظيم فهي أفضل الأعمال ، ويجب أن تؤدى بفراغ قلب وخشوع لله سبحانه ، ومن أهم صفات أهل الجنة المحافظة على الصلاة قال تعالى : (والذين هُم على صَلاتِهم يُحافِظُون أولئِك في جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ) المعارج / ٣٤،٣٥ . والصلاة نعمة كبرى أسبغها الإله على البشر فهي تطهر النفس والجسد من الإثم والنجس ، وهى تبدد وساوس النفس الأمارة بالسوء وتبعدنا عن الفتن والأهواء ، وتنشط الذهن ، وتقوى البدن ، وتجعل الإنسان في قمة التواضع ، والسمو الروحي فيتخلص من غرور المال والجاه والمركز ، وهكذا تصبح الصلاة حصنا منيعا يعصم العبد من الوقوع في المعاصي، والخنوع للضلال وتجعله يحرص على التوبة والصلاح ، والصلاة صلة بين العبد وربه ، وهي أول ما أوجبه الله سبحانه وتعالى من العبادات ـــ فهي عماد الدين لقول النبي عليه السلام والسلام : " ... من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين " . وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح ونجح وإن فسدت فقد خاب وخسر .

والصلاة بركة في الرزق ، ومبعدة عن الشيطان وشفيع بين صاحبها وملك الموت ، ونور في قلبه ، وفراش تحت جنبه ، وزائر مؤنس للعبد الطائع يبقى معه في قبره إلى يوم القيامة ، فإذا حانت القيامة كانت

الصلاة ظلا فوقه ، وتاجا على رأسه ، ولباسا على بدنه ، ونـــورا يسعى بين يديه ، وسترا بينه وبين النار ، وحجة للمؤمن بين يـــدى رب العالمين، وثقلا في الميزان ، وجـــوازا علـــى الصـــراط . لأن أفضـــل الأعمال كلها الصلاة ، فإذا صلى العبد يقول الله تعالى : " عبـــدى مـــع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياما وركوعا وسجودا ، وقـــراءة وتحميـــدا وتكبيرا وسلاما فأنا مع جلالى لا يحصل منى أن أمنعك جنة فيها ألـــوان النعيم . أوجبت لك الجنة ونعيمها كما عبدتنى بأنواه العبـــادة وأكرمـــك برؤيتي كما عرفتنى بالوحدانية فإنى لطيف أقبل عذرك وأرحمك " !! .

والصلاة طهارة ، وتربية للنفس ، وتوجيه للقلب ، وتنوير للفكر إلـــى التحلي بالأعمال الفاضلة ، والتخلي عن المعاصي ، والبعد عن الذنـــوب، ويتقرب العبد الطائع المؤدي للصلاة بالنوافل فنزيدها عددا ، وتضـــاعف ثوابها . قال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من اللـيـــــل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) هود / ١١٤ . وكان أمـــر بالتهجد للرسول خصوصية له . لقوله تعالى :

(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربـــك مقامـــا محمـــودا) الإسراء / ٧٩ فكان الأمر بقيام الليل فرضا على النبي لمقامه العظيم عنـــد ربه ، وأنه رسول وهو أعرف الناس بقدر ربه عز وجل ، وهو أحـــــب خلق الله إليه ـــ أما سائر المسلمين فيعد قيام الليل من أعظم القربات إلـــى الله تعالى ـــ فالمتهجد يـــترك نومـــه ، وراحتـــه للاشـــتغال بالعبـــادة ، والوقوف بين يدي رب العالمين في هدأة الليل فكان على من وفقـــه الله إلى هذه العبادة أن ينال من الله الرضا والقبول . يقول المصطفى صلـــى الله عليه وسلم فيما يروى عن رب العزة تبارك وتعالى:

... "وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، ومـــايزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبـــه . فـــإذا دعـــانى أجبتـــه ، وإذا ســـألنى أعطيته ".

وصلاة النوافل كثيرة منها صلوات السنة التى تأتى بعد الفــروض وأيضا صلاة الضحى ، وصلاة التراويح وغيرها من الصلـــوات التـــى تقرب العبد إلى ربه ، فيحظى برضاه ويقترب من جنته .

والموت الذي هو نهاية كل حيٍّ غيب لا يدرى الإنسان متى يدركـــه فمن أراد ألا يموت إلا مسلما فسبيله أن يكون في كل لحظـــة أن يكـــون طائعا لربه ، متبعا لمنهجه ، محتكما إلى كتابه ، معتصما بحبله ، وهـــذا هو المسلم الحق الذى عرف ما يجب عليه نحو خالقه عز وجل .

الصــــيــــام :

وهو الركن الثالث من أركان الإسلام ، وقد فرض الله على المسلمين الصيام في رمضان ، ولرمضان فضل على سائر الشـــهور ، فـــأبواب السماء تفتح من أول يوم في رمضان حتى آخر ليلة من لياليه ، والصيام يوقظ ما خمد من النفس الإنسانية ، ويحيي ميلها للرحمـــة والعطـــف ، ويحرك ما جمد من القلوب ، ويتغير فيه نظام الحياة اليومي ، ويعيـــش المجتمع المسلم حياة قوامها السمو الروحي ، والكمـــال النفســـي طـــوال شهر رمضان ، وللصـــوم آثـــاره الإصلاحيـــة فـــي نفـــوس الأفـــراد والجماعات، فهو يشيع في المؤمن روح القناعة ، فيترفع عن شـــهوات الدنيا ومتاعها الرخيص ، وتسمو نفسه إلى الغايـــات العليـــا والأهـــداف السامية ، فالصيام يرتقي بالمؤمن إلى آفاق عظيمة من السمو ، ويشـــيع في النفس المؤمنة الرغبة في المجاهدة للشـــهوات ؛ أمـــلا فـــي بلـــوغ رضوان الله عز وجل ، وتحيق الغاية مـــن الصـــوم وهـــي التقـــوى ، قال تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين مـــن قبلكـــم لعلكم تتقون) البقرة / ١٨٣.

فالصائم يمسك عن الطعام والشراب ومطالب الجســـد طـــوال أيـــام رمضان من طلوع الشمس إلـــى غروبـــها ، طواعيـــة ودون تذمـــر أو

ضجر؛ لأنه يفعل ذلك ابتغاء مرضاة ربه ، وامتثالا لأمره ، ومن هنا فإن الصيام يعوّد العبد الطاعة ، ويرتفع به عن الصغائر ، كمايعوده الالتزام بمكارم الأخلاق ، وجميل الصفات ، إذ يتحاشى الوقوع فيما يفسد عليه صومه ، أو يحط من ثوابه ؛ فلا يكذب ولا يغتاب ، ولا يمشي بالنميمة، ولا يقول الزور ، كما يقوي الصوم مراقبة الضمير ، ويؤكد في العبد المؤمن الشعور بالمسئولية ؛ لأن الصائم ليس عليه رقيب إلا الله ، وهو سبحانه الذي يعلم سره كما يعلم علانيته .

ومن ميزات الصوم وآثاره النافعة أن الإحساس بالجوع لدى الصائم يحرك في نفسه مشاعر الرحمة بالفقراء والبائسين والمحرومين ، فيذكرهم ويعطف عليهم ، ويداوم على تعهدهم ببره ويفيض عليهم مما أعطاه الله ورزقه ، وهكذا يكون الصوم خيرا عميما وبابا عظيما للخير وصالح العمل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : " يوم الصائم عبادة ، ونفسه تسبيح ، ودعاؤه مستجاب " وما من عبد يصوم رمضان بإخلاص لله إلا غفر الله ما تقدم من ذنبه ، وضاعف له الأجر .

والصوم سر من الأسرار المصونة بين الخالق عز وجل وبين عباده، فهو يربي في الفرد مكارم الأخلاق ، ويجعله يراقب الله عز وجل في أعماله كلها ، ويحاسب نفسه على الصغير والكبير ، ومن ثم يدخله في زمرة أهل التقوى والخشية لله ، الممتثلين أمره المجتنبين ما نهى عنه ، وبذلك يكون الصوم من أقوى العبادات التي تزكي النفس وتسمو بها . وفضلا عن ذلك كله فالصوم مفتاح الجنة ، كما أنه مفتاح الصحة ، قال صلى الله عليه وسلم : " لو تعلم أمتي ما في رمضان من الخير لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان " وقال أيضا : " جوعوا تصحوا " .

وقد فرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة ، وهو شهر بهجة

وخير على المسلمين ، تسمو فيه الأرواح ، وتزكو النفوس ، ويتواصل المسلمون ، وتجتمع قلوبهم على طاعة الله عز وجل وامتثال أمره ، وتبدو الروح الإسلامية أكثر قوة ووضوحا في ذلك الشهر ، ولا غرابة في أن يكون ثواب صيامه وقيامه عظيما ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلغه عن رب العزة جل وعلا في الحديث القدسي : " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به " .

وفي رمضان أنزل القرآن ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وفي رمضان ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وهي مما اختص به المولى عز وجل عباده المسلمين .

وهكذا يأتي رمضان وفي رحابه كل تلك الخيرات ، فهو مناسبة طيبة يغسل الإنسان فيها نفسه مما علق بها من الأدران ، ويطهر قلبه مما قد يكون علق به من أسباب الهوى ونزغات الشيطان . فعلى المسلم الحصيف أن يغتنم هذه الفرصة — فرصة شهر الصوم — فيستعد له ، ويشمر عن ساعد الجد ، ويكثر فيه من الطاعات والقربات ، فيعمر بيوت الله ، ويجتهد في العبادة ، ويكثر من الصدقات على المحتاجين ، وينفق في وجوه الخير ، ويقوم الليل ، ويعكف على قراءة القرآن ويحسن التجارة مع الله عز وجل ؛ لأنها تجارة رابحة لن تبور !! .

وقد بين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فضل شهر رمضان ، وأوصانا بحسن استقباله ، واغتنام ما فيه من الخير العميم . فقد خطب عليه الصلاة والسلام الناس قبيل رمضان فقال : " أيها الناس . قد أظلكم شهر عظيم ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه " . وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، ومن فطّر فيه

صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتقاً لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . وهو شهر القرآن . والصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة كما بين لنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : " ... يقول الصيام : أي رب . منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه . ويقول القرآن : أي رب . منعته النوم بالليل فشفعني فيه . قال : فيشفعان " .

وشهر رمضان شهر الانتصارات والأمجاد الكبرى في الإسلام ، وأكثر انتصارات الرسول صلى الله عليه وسلم وقعت في شهر رمضان.
ومن آداب الصيام غض البصر ، وكفه عن الحرام ، وحفظ اللسان عن اللغو والكذب والغيبة والنميمة ، وكف السمع عن الإصغاء لما يغضب الله عز وجل ، وحفظ الجوارح كلها عما نهى الله عنه . والصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الإيمان .

والصوم المندوب متاح للمسلم في غير رمضان ، وهو سبيل لامتداد الخير والفضل الذي عرفه المسلم لشهر رمضان ، ومن هنا حبب الرسول صلى الله عليه وسلم في صوم التطوع ، وندب الناس لصوم أيام بأعيانها ، منها ست من شوال ، وعشر ذي الحجة ويوم عاشوراء ، والأيام البيض وهي أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري ، وصيام التطوع على مدار العام يقرب العبد إلى ربه ، ويزلفه من جنته ، فقد وعد الله العاملين الطائعين الجنة ، فضلا منه وتكرما ، وكذا سائر العبادات أبواب يفتحها الله لإثابة عباده الطائعين ، دون استحقاق منهم لتلك المثوبة ، بل تحصل لهم فضلا من الله وإنعاما، فمهما بلغ العبد من جهد وعمل فلن يكافيء إحسان الله إليه .

الزّكاة :

وهي الركن الرابع من أركان الإسلام ، ويجب أداؤها على صاحب

المال الذي يبلغ النصاب ويحول عليه الحول ، ولها شروطها وأحكامها التي حددتها الشريعة الإسلامية ، فعلى كل مسلم ومسلمة أن يعلم ما هو مفروض عليه ، وألا يتهاون في أداء ما هو مكلف شرعا بأدائه حتى تسقط عنه الفريضة ، ولا يقع في دائرة المخالفة أو التضييع لركن مهم من أركان الإسلام . قال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) البقرة / ٤٣ . وتعتمد فلسفة الزكاة في الإسلام على أن المال الذي بأيدينا هو مال الله ، استخلف فيه العباد ؛ لذا شرع فيه سبحانه حقوقا والتزامات على العباد أن يؤدوها في مصارفها التي شرعها الله ؛ توزيعا للثروة ، وإغناء للمحتاجين ، وإشاعة للتواد والتراحم بين الناس .

وتجب الزكاة في ألوان من الممتلكات والأموال ، وعوائد الأنشطة الاستثمارية كزكاة التجارة ، والزروع والثمار ، والماشية ... وغيرها ، وعلى كل مسلم ومسلمة عنده ما تجب فيه الزكاة أن يسأل العلماء ويتحرى إخراج ما يجب عليه إخراجه .

والزكاة تطهير للمال وتزكية لصاحبه ، وسدٌّ لحوائج الفقراء والمعوزين ، وإشاعة للمحبة بين الناس ، حتى لا يحقد المعسر على الموسر ، ولا يضطغن عليه ، ولا يحسده ، ومن ثم يشعر المسلمون بأنهم إخوة متعاونون ، ويشعر الفقير بأن الغني أخاه في الدين والإنسانية، فيدعو له بالخير ، ويتمنى دوام نعمته ، وأن يزيده الله فضلا وغنى ، على عكس المجتمعات غير الإسلامية ، إذ تشيع فيها الجريمة ، ويكثر عدوان الفقراء على الأغنياء والبطش بهم ، واستلاب أموالهم ، وبالتالي تشيع البغضاء بين الناس ، وصدق الله عز وجل إذ يقول : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) آل عمران / ١٣٣ .

ففي هذه الطاعات رحمة للعباد ، وتواصل وتواد ، والزكاة حق

للسائل والمحروم وهناك أبواب أخرى للنفقات المندوبة لم يلزم الإسلام بها المكلفين بل جعلها فضلا وعفوا ، لهم ثواب إنفاقها ، وأجر بذلها ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

الحج :

وهو الركن الخامس من أركان الإسلام فرضه الله عز وجل على المكلف المستطيع مرة في العمر . قال تعالى : (ولله على الناس حج الناس من استطاع إليه سبيلا) آل عمران / ٩٧. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، فإذا خرج الحاج من منزله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ومن حج مرتين داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم على النار.

والحج من العبادات المليئة بالأسرار ، فعلى من دخل في شعائره أن يؤديها كما افترضت عليه ، وألا يبحث عن أسباب تلك التكاليف ، ففي الطواف والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، ورمي الجمرات ... ، وغيرها أسرار يجب أن نؤديها امتثالا لما شرع الله عز وجل وفعل رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهي لحكم وأسرار يعلمها الله عز وجل ، وهي منزهة عن اللهو والعبث . والحج رحلة إيمانية فيها يخشع قلب المؤمن ، ويتخلص من أدران البطر والتعالي ، وفيه يتحقق الشعور بالوحدة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وفيه تتم فرصة عظيمة لجمع الشمل ، واجتماع المسلمين وأولي الرأي منهم للنظر فيما يرتفع بشأنهم ويحل مشكلاتهم ، ويقوي أواصر الإخوة والتعاون بينهم .

إن شعور المسلمين بالوحدة الإسلامية يتجلى في أبهى صوره في موسم الحج ؛ إذ تلتقي الجموع المؤمنة التي تلتقي على كلمة التوحيد ، وغاية مرضاة الله عز وجل يلتقون في صعيد واحد ، وقد لبسوا المخيط، ونبذوا ما يفرق بينهم ، شعارهم لبيك اللهم لبيك ، كلهم

ضارعون إلى ربهم ، يرفعون أكفهم ، سائلين خالقهم الرحمة والمغفرة ، يلهجون بذكر الله والثناء عليه بما هو أهله ، يلحون في الرجاء ، تسبقهم دموع الندم ، وتكسوهم حلل التذلل والانكسار ، يسألون ربا رحيما وسعت رحمته كل شيء ، وسبق عفوه عقابه !! .

وفي الحج دعوة واجبة الأداء قصد منها أن يلتقي المسلمون على اختلاف مواطنهم ، وتباعد ديارهم في زمن واحد وعلى مناسك واحدة ، وفي أيام معدودة ؛ ليشهدوا منافع لهم ، وليحمدوا ربهم على نعمه ، ويؤدوا جانبا من شكر ما أنعم به عليهم ، وليتعرفوا على أحوال إخوانهم، ويعملوا على نصرة دينهم ، وإعزاز شأن أمتهم .

أثر العبادات في حياة المؤمن :

وهكذا نرى أن العبادات التي فرضها الله عز وجل من صلاة وصيام وزكاة وحج هدفها أن تقرب العبد من ربه ، وتقوده إلى رضوانه ، وحسن القيام على عبوديته بإيمان صحيح ، وقلب سليم ، وهي توجه الإنسان إلى السمو النفسي ، وترتفع به من عالم المادة بما يكتنفه من شواغل ونهم وجشع وغفلة عن المعاني الإنسانية السامية إلى عالم الروح والترقي الإنساني ، والترفع عن الدنايا ، والتخلص من أثقال المادة والشهوة ، وهذه هي الحياة بمعناها الحقيقي ، حياة الإنسان ، لا حياة البهيمة ، يقول الحق سبحانه : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) الأنعام / ١٢٢ . فحياة العبد الطائع القريب من حوزة ربه وحمى خالقه هي الحياة الحقيقية ، والله عز وجل بفضل منه سبحانه فرض علينا العبادات بألوانها ليقربنا من ساحته ، ويزلفنا من مرضاته ، وهو مع ذلك يعطينا على أدائها الجزاء الأوفى !! فاللسان الذي يلهج بالذكر والدعاء والصلاة والتلبية والتكبير والتحميد والتهليل ، والدعوة إلى

الخير هو من صنع العليم الحكيم وبقدرة الله ينطق ويذكر ويدعو ويطيع!! والأعضاء كلها كذلك فمنها ما يركع ويسجد ويقوم ويصوم ويطوف ويسعى ويعمل الخيرات ... ، وهي كلها من صنع الله عز وجل وبقدرته وتوفيقه سارعت إلى الخيرات ، وفعلت القربات .

ويؤكد القرآن الكريم دور العبادات في القرب من الله عز وجل ، واللياذ بساحات رحمته ومغفرته فيقول عز من قائل عن الصلاة: "(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت / ٤٥ . وقال عز وجل عن الزكاة : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) التوبة / ١٠٣ . وقال عن الحج : (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج . وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) البقرة / ١٩٧ .

فالإسلام يهدف إلى أن بالعبد المؤمن المستوى الكامل في الإنسانية ، ويخفف جموحه الغريزي ، وتلك هي اللبنة الأولى في بناء العبد الرباني الطائع الممتثل الذي لا يطغى فيه جانب الغريزة والشهوة على جانب العبودية .

والعبادات كلها تقوي في العابد جانب المراقبة لله عز وجل ، فتجعله مستقيما دائما على طريق الهداية ، يخشى الله عز وجل ، ويعلم أنه مطلع على سره وعلنه ، ظاهره وباطنه ، فيكون حريا بأن يلتزم ما أمره الله عز وجل به ، وما افترضه عليه وأن يجتنب ما حرمه عليه ونهاه عنه ، وأنه محاسب على هذا وذلك دون تفريط أو إغفال . قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة / ٧ ـ ٨ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في قريب من هذا المعنى : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم " . فلتجعل أيها العبد المؤمن مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، ولتجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك ، واجعل عبادتك

لمن لا تستغني عنه ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .. !! فإنك إن فعلت ذلك نلت ثواب ربك ، وفزت بجناته . قال عز من قائل : (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجراً) المزمل / ٢٠ . فهدية الله عز وجل لا تتحقق إلا لمن أطاعه ، ووحده وأدى ما أمره الله به واجتنب ما نهاه الله عز وجل عنه، وبالله التوفيق.

ومن معالم الطريق إلى الجنة :

الإخلاص :

وهو من العبادات القلبية ، ويعني خلوص النية وتصحيح القصد، مصداقا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى " وهو يشمل سائر الأعمال والطاعات فهو يلزم في العبادات والأفعال والأقوال ، ويقتضي حضور القلب ، وخلوص النية ، ويقظة الضمير ، ومن مقتضى الإخلاص أن تُؤدَّى العبادات في حضور قلب ، وخلوص نفس ، وأن يحرص العبد على يعطي أعماله حقها قاصدا بها وجه ربه ، نافيا عنها شوائب الرياء فالعمل بدون إخلاص لا قيمة له ولا وزن .

ويتحقق الإخلاص في الإنفاق ــ على سبيل المثال ــ بأن يكون المنفق مبتغيا بما يقدم وجه ربه لا يريد عليه ثناء من أحد ، أو ذكراً حسنا عند الناس ، فإذا فقد العمل عنصر الإخلاص حبط عمل صانعه وخاب سعيه ، قال تعالى في بيان العمل الذي فعله العبد مبتغيا به وجه ربه: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) الإنسان / ٩ . وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا كان آخر الزمان صارت أمتي ثلاث فرق : فرقة يعبدون الله خالصا ، وفرقة يعبدون الله رياءً ، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس . فإذا جمعهم

الله يوم القيامة قال ـ سبحانه ـ للذي يستأكل الناس : بعزتي وجلالي ما أردت بغبادتي ؟ فيقول : وعزتك وجلالك أستأكل بها الناس . فيقول سبحانه وتعالى : ما ينفعك ما جمعت . انطلقوا به إلى النار ثم يقول سبحانه وتعالى للذي كان يعبد رياءً : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال : بعزتك وجلالك أردت رياء الناس . فيقول سبحانه : لم يصعد إليَّ منه شيء.
انطلقوا به إلى النار . ثم يقول سبحانه وتعالى للذي كان يعبد الله خالصا: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال بعزتك وجلالك أنت أعلم مَنْ أردتُ به !! أردتُ به ذكرك ووجهك . فيقول سبحانه وتعالى: صدق عبدي . انطلقوا به إلى الجنة " .

ومما يؤكد أهمية الإخلاص وأنه هو الذي يعول عليه في قبول العمل، وتحقق الفوز برضوان الله عز وجل حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " . وهناك آثار كثيرة تؤكد هذه الحقيقة منها ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : جاء أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله قائلا : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "

والإخلاص كما يفهم من آيات الذكر الحكيم وهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم يتحقق بأن تكون أعمال الإنسان وحركاته وسكناته مقصوداً بها وجه الله ، ومطلوبا بها رضوانه ، قال تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) الزمر / ٢ ، ٣ . وقال عز من قائل :
(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) البينة / ٥ .

فلابُـدَّ في العبادات من ابتغاء وجه الله ومرضاته حتى تكـون مقبولة عند الله ، وكذا الحال في سائر الأعمال أيضا فالإخلاص في كـل ما يعمله العبد شرط لقبوله ونوال ثوابه ، فحين تصدق النية فـي هـذا الإتجاه وهو العمل بإخلاص بكل عمل وبكل فعل بدون أى نفاق أو ريـاء بل تأديتها باخلاص وضمير وخوف من الله فيكون عمل الإنسان وقولـه وجهاده لا قصد له إلا وجه الله والدار الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ويبارك الله له في رزقه وفي عمله ، وفـي عيشه ، وفي حياته ــ قال عليه السلام : " إن الله يحب إذا عمل أحدكـم عملا أن يتقنه " .

فالمعلم الذي يبذل علمه لأبنائه وتلاميذه بإخلاص وضمير ولا يبتغـى المكافأة إلا من الله يجزيه الله الجزاء الأوفى . قـال تعـالى : (ولِكُـلٍ درجاتٌ مما عَمِلوا وما ربُّكَ بغـافِلٍ عمـا يَعملـونَ) الأنعـام / ١٣٢ . والعامل الذي يؤدى عمله بإخلاص وضمير وخوف من الله يبـارك الله له ويعينه ويوفقه . والزارع في حقله حين يؤدى عمله من زرع وحـرث وجهد بإخلاص وتوكل على الله يؤتيه الله زرعه مضاعفا ، وهكذا فـي جميع الأعمال يكون الإخلاص أساس السعادة في الدنيا والآخرة . قـال تعالى(وقُلْ اعملُوا فسيرى اللّه عَملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة/١٠٥.

لقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة فلم يحرم أحدا من الجزاء بل هـو يحاسب الجميع ويوفى كلاً على حسب نيته وإخلاصه ، فالمسـلم الـذى يؤثر دينه على دنياه ، ومروءته على هواه ، ويعمل ما اسـتطاع علـى تطهير قلبه وتزكية نفسه ، حتى تضيء وتشف وتواجه الناس بما فيـها من طهر وبما تفيض به من خير فهذا هو المؤمن الـذى يريـده الديـن ويبشره بالفلاح ، فديننا يحث على إتقـان العمـل وإجادتـه وتطويـره بإخلاص وخوف ومراقبة لله ؛ طمعا في رضاه ، وامتثالا لأمره ، قـال تعالى : (قد أفلح منْ تزكّى وذكرَاسْمَ ربه فصلّى) الأعلـى / ١٤ ، ١٥ .

وقال في آية أخرى : (ونفسٍ وما سَوَّاها فألهمها فُجُورها وتقوَاهــا قد أفلح منْ زَكَّاها وقد خَابَ من دَسَّاها) الشمس / ٧ ــ ١٠ .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولانا في الدنيا والآخــرة ، وأن يجعلنا من السابقين للخيرات أينما كنا وأن يجعلنا ممن أذا أعطــوا شكروا ، وإذا لإبتلوا صبروا ، وإذا أذنبوا استغفروا فإن من رزق هــذه الخلال فقد رزق الخير كله ، ونال السعادة من أقطارها . إنــه ســبحانه وتعالى قريب مجيب الدعاء !! .

مــا هــو الإسلام ؟

هو دين الله وخاتم الرسالات . قال تعالى : (أفمن شرح اللّه صَدْره للإسلام فهو على نور من ربه) الزمر / ٢٢ . وهو دين الفطــرة التــي فطر الله الناس عليها وهو العقيدة الصحيحة ، وديــن المنــهج القويــم ، والشريعة الغراء ، التي راعت مصالح العباد ، وسعادة البشر في دنيــاهم وأخراهم ، وهو دين السلام والوئام ، دين العفو والسماحة ، دين القــوة والرحمة ، دين الرأفة والعطف ، دين السلوكيات القويمة ، دين الخــير ، دين اليسر . قال تعالى :

(يُريــدُ اللّهُ بِكُــمُ اليُسْر ولا يُريدُ بكمُ العُسْرَ) البقرة / ١٨٥ .

وجوهر العقيدة الإيمان بوحدانية الله ، لأن التوحيد الخــالص هــو لباب الرسالات السماوية كلها ، وهو عمود الإسلام وشــعاره الــذى لا ينفك عنه ، وهو الحقيقة التي ينبغى أن نحرص عليها ونصونها من كــل شائبة ، وكلما ذكرنا الله في عليائه انتقل ذهننا إلى محمد عليــه الســلام الذى قادنا وهدانا إلى سبيل ربنا ، وعلمنا كيف نعبده ونخشــاه ونعمــل لمرضاته .

والإسلام هو شريعة الخلود ، وشريعة الإنســانية جــاء بــالعقيدة الصحيحة ، وهى الإيمان بالله وحده لا شــريك لــه ، وبــاليوم الآخــر

والخوف منه سبحانه ، والإعتقاد الجازم بأن وراء الموت حساب وعقاب ، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ، فالعقيدة نفسها كانت كالنور الوهاج يجذب اليه الأنظار فدخلت أفواج الناس في الإسلام عن رضا وارتياح .

وللإسلام منهج ذو خصائص متميزة من ناحية التصور الاعتقادى ومن ناحية الشريعة المنظمة لإرتباطات الحياة كلها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو إجتماعية ومن ناحية القواعد الأخلاقية التى تقوم عليها هذه الإرتباطات فهو ليس منهج إنسان ولا مذهب شيعة من الناس ، ولا نظام جنس من الأجناس بل هو منهج الله للحياة البشرية ، ولخير البشرية جاء هذا المنهج يوم جاء .

ولقد دعا الإسلام إلى إشاعة السلم والود بين الناس ؛ من أجل سعادة البشرية ورخائها ولم يشرع الحرب إلا للدفاع عن العقيدة ، والوطن إذا عجز السلام عن إسترداد الحقوق الضائعة . قال تعالى :

(وإنْ جَنحُوا لِلسَّلْم فاجْنَحْ لها وتوكَّل على اللَّه) الأنفال / ٦١ .

والإسلام يدعو المسلمين إلى المودة والتراحم بينهم ، ويرعى حسن الجوار بين الأفراد والجماعات . كما يرعاه مع غير المسلمين مم لا يناصبون المسلمين العداء .

والإسلام يمجد القوة حيث ينبغى أن تكون ، ويمجد الرحمة حيث ينبغى أن تكون ، فهو يكره الخنوع والمذلة والإستضعاف ، ويطالب المسلم أن يعيش بين الناس عبداً لله وحده . لا يذل لغيره ، ولا يخضع لسواه.

ومن أنبل وأسمى مبادئ الإسلام المساواة بين الناس وعدم التفريق بينهم على أساس العنصر أو اللون أو الجنس ، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . ويسجل القرآن الكريم هذا الدستور الرائع في قوله عز شأنه: (يا أيُها النَّاسُ إنا خَلقنَاكُم من ذكَر وأنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائِلَ

لِتعارَفُوا إنَّ أكرمَكُم عند اللَّه أتقاكُم إنَّ اللَّه عليمٌ خبير) الحجـرات / ١٣ . وهكذا يضع الإسلام أسس المساواة الحقة، والعدالة المطلقة وهـو بسماحته لم يقف من أهل موقف العداء ، بل أمر أن ندعوهم بالتي هـي أحسن ، وأن نبذل لهم النصح ، ونجتهد في تذليل سبل الهداية لهم .

كما أمر الإسلام باحترام المسلم لحقوق أخيه الإنسـان ، والوفـاء بالعهود التى لا تحل حراماً ، ولا تحرم حلالاً ؛ لأنها الضمـان لحيـاة إنسانية مثلى في مجتمع بشري تتصـارع فيـها الأهـواء والشـهوات والأطماع ، وهو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعـامل بيـن النـاس وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية ، وقد تشدد الإسلام فـي مسألة الوفاء بالعهود لأنها قاعدة الثقة التى ينفرط بدونها عقد الجماعـة ويتهدم.

ومن الوفاء بعهد الله : قول الحق ، والحكـم بـالعدل ، ولـو كـان المحكوم له ذا قربى . ومنه أيضا توفية الكيل والمـيزان بالقسـط . وألا تقرب مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن . وقبل ذلك كله ومعه ألا نشـرك به شيئا ، فهذا هو العهد الأكبر المأخوذ على فطرة البشر بحكم خلقتـها متصلة بمبدئها ، شاعرة بوجوده في النواميس التى تحكمها كمـا تحكـم الكون من حولها .

ومن ميزات الإسلام ومحامده أنه يدعو أتباعه إلى التحلي بـالأخلاق الكريمة التى تثمر الأمن في ظلال الإيمان ، ونور العلم وهى كـل مـا يختص بتربية النفس وآداب السلوك مما يجب على المرء لسداده في دينه أو نجاحه في دنيـاه : كـالصدق ، والأمانـة ، والصـبر ، والحلـم ، والشجاعة ، وحسن المعاملة ، وحسن الجوار ، وإقبال المرء علـى مـا يعنيه وترك ما لا يعنيه .

ومنها كذلك أنه أمر بالعدل الذى يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكـل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ، ولا تتأثر بالحب والبغـض ،

ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف إنما تمضى في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع وتزن بميزان واحد للجميع .

وكما حث الإسلام على الفضائل وحبب فيها نهى عن الرذائل ونفر منها، فنهى عن كالحسد والوشاية والأنانية ، والطمع ، والحرص على متاع الدنيا وزخارفها الفانية .

كما نهى الإسلام عن الفحشاء والمنكر والبغى ، فالفحشاء كل أمر يتجاوز الحد والمنكر كل قول تنكره الفطرة ، ومن ثم تنكره الشريعة فهى شريعة الفطرة ، والبغي : الظلم وتجاوز الحق والعدل . ولأن الإسلام هو دين الله الحق ، وخاتم الرسالات لم يترك الإنسان في أى درب من دروب الحياة وحده يعتمد على التجربة والخطأ ولكن الله عز وجل أراح البشرية من هذه النزاعات فحدد معالم الحياة وطريق الوجود.

والإسلام في سبيل تحقيق المجتمع المثالي لم يعمد إلى الترهيب أو العقاب ، بل راعى قبل ذلك الترغيب والوقاية من الشرور والانحرافات، ومن مظاهر ذلك أن الإسلام لم يحارب الدوافع الفطرية بل نظمها لكي يضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطنعة ؛ وحتى تضيق فرص الغواية ، وتخمد بواعث الفتنة .

والإسلام كما نرى هو أكمل نظام عرفته البشرية ، إذ يمثل أرقى ما وصل إليه المصلحون في تحقيق العقد الاجتماعي الصيح الذي يرعى صالح الجميع دون تمييز أو تعصب ، ودون غمط للحقوق أو افتئات على المستضعفين ، وهو لم يقم أسسه على مراعاة جانب من حياة الناس دون الجانب الآخر ، فلم يدع إلى الاهتمام بشئون الحياة الآخرة على حساب الحياة الدنيا العاجلة ، بل عدل بين القسمين وسوى بين الجانبين ، قال تعالى : (ولا تَنسَ نصيبكَ من الدُّنيا) القصص / ٧٧ .

والإسلام اعتقاد وإيمان صحيح ثم هو عمل وعمارة للأرض قال

مايزال هو هو في حقيقته وأصل فطرته ، والقرآن هو خطاب الله لـــهذا الإنسان خطاب لا يتغير ؛ لأن الإنسان ذاته لم يتبدل خلقا آخر .

امتـد نزول القرآن على رسول الله ثلاثة وعشرين عاماً والرســـول يدعو بما جاء به ، ويعمل بما أنزل فيه ؛ لهداية الناس وإخراجـهم مـن الظلمات إلى النور ، وحثهم على الإيمان بالله الواحد والإيمـــان بـاليوم الآخر . وهكذا نجد أن القرآن الكريم هو نور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وهو مع ذلك الحد الفاصل بين الكفر والإيمان . وهـــو روح الدعــوة ، وباعثها ، وهو قوامها ، وكيانها ، وهـــو حارســها وراعيــها ، وهــو ترجمانها وبيانها !! .

وللقرآن أسماء تدل على رفعة شأنه وعلو مكانته فسمى القرآن ، قــال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتـي هـي أقـــومُ) الإســراء / ٩ . وسمي الفرقان كما يؤخذ من قوله جل شأنه : (تبارك الذى نزل الفرقـان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) الفرقان / ١ . قيل : لأنه يفــرق بيـن الحق والباطل ، وبين الهدى والضـــلال ، وبيـن الحــلال والحــرام . وسمي أيضا الذكر ، من التذكر والشرف (وإنه لذكـــرٌ لــك ولقومِـكَ) الزخرف / ٤٤ . أي إن القرآن لشرف لك ولقومك .

وسمى قرآنا لجمعه الأحكام والقصص والمواعظ والأمثال .

ومن آداب القراءة في كتاب الله أن يكون القاريء متطهرا ومســتقبلا القبلة ومتحريا أفضل الأوقات كالليل وبعد الغروب وبعد الفجر . قـــال تعالى : (وقرآن الفجر إن قُرآن الفجر كان مشهودا) الإســراء / ٧٨ . والتلاوة لكتاب الله على النحو الأمثل تعنى شيئا آخر غير مجرد المــرور بكلماته بصوت أو بغير صوت ، بل تعنى تلاوته عن تدبر ينتـــهى إلــى إدراك وتأثر وإلى عمل بعد ذلك وسلوك ، ولقد نزل القرآن لهذا الغــرض ليتدبر المسلم آياته ، ويتفكر فيما فيه مـــن الوعــد والوعيــد والثــواب

قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خيرٌ لكم لعلكم تذكّرونَ) النور / ٢٧.
والإسلام ينبذ الجشع والعدوان على مقدرات الآخرين ، ويدعوا إلى مواساة الفقراء والمعوزين وألا يغفل القدرون عن إعطائهم حقهم في الأموال بأداء الزكاة ، وبذل النفقات المتنوعة .

والإسلام دين القيم والآداب العامة ولقد وضع هذه القيم السامية موضع التنفيذ ومنها الحث على عيادة المريض . قال عليه الصلاة السلام : " عائد المريض في مخرفة الجنة ــ والمخرفة هى البستان أى طريق بين صفين من النخيل ــ إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يابن آدم مرضت فلم تعدني ! فيقول : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ فيقول رب العزة : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ! " .

والإسلام دين التكافل الإجتماعى فلا يسوغ في النظام الإسلامي المعترف بع أن يموت الفقير جوعا ، في حين يهلك الغنيُّ تخمة ، ولذلك فرض الإسلام الزكاة والصدقات على مختلف أنواع الثروات . قال تعالى : (لنْ تَنَالوُا البرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحبونَ) آل عمران / ٩٢ .

والإسلام لم يقف عند حد تقرير المساواة بين الرجل والمرأة في الأمور الدينية بل ساوى بينهما في الحقوق المدنية ، فللمرأة ذمتها المالية الخاصة كما أن لها أهلية التصرف الكاملة فيما تملك كالرجل سواء بسواء ، كما جعل لها الإسلام نصيبا مفروضا في الميراث . قال تعالى: (يُوصيكُمُ اللّهُ في أولادِكم للذكرِ مثلُ حظ الأنثيين) النساء / ١١ .

ومن محامد الإسلام وميزاته أنه جعل كل تشريعاته وآدابه أقرب إلى طبيعة النفس البشرية ، إذ تصير هذه وتلك بالنسبة للمسلم دينا يرتضيه، وسراجا يهتدي به وصمام أمان يرد على النفس طمأنينتها إذا هزها ريب أو إعتورتها شكوك ، فهو دين البشرية الذى يدعو إلى التآلف

والتراحم ، وشريعة تنظم أ حوال المجتمع ومساواة تربط بين الناس ، فالأهداف العليا للإسلام : هي الأمن والاستقرار والسلام والمودة والتعاون ، ليلتقي المسلمون عند قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران / ١٠٣ .

والإسلام طالب الإنسان بأن يتعلق برب الكون ومليكه ، ويلوذ بكنفه، ويلجأ إلى حماه ، وأن يرحل من ضعف المخلوق إلى قدرة الخالق ومن الأكوان إلى المكوّن ودوى التوجية الإلهى يستفز العقول ويغزو القلوب والأرواح في قوله تعالى : (وأنَّ إلى ربِّكَ المنتهى) النجم /٤٢ .

لقد بزغ الإسلام في الجزيرة العربية في حقبة مظلمة تفشت فيها الفوضى والهمجية عرفت بالجاهلية ، حتى بلغ الأمر بالآباء حد التوحش والقسوة أن يئدو الواحد منهم بنته وقد ظلت هذه العادات سائدة إلى أن نزل القرآن فندد بها وأغلظ على مرتكبيها قال تعالى : (وإذا المَوءُودَةُ سُئِلَتْ . بأىِّ ذنب قُتلت) التكوير / ٩،٨ بل لقد جعل الإسلام القتل جزاء لمن يرتكب هذه الجريمة النكراء هذا هو الوضع الذى قلبه الإسلام رأسا على عقب لا قبل الإسلام بل وبعده بأربعة عشر قرنا فكان أول ما قدره القرآن أن البشر إنما يدين في وجوده إلى الرجل والمرأة مجتمعين فرفع هذه المظالم عن المرأة وأعاد لها اعتبارها في الإنسانية . قال تعالى (يأيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات / ١٣.

ولقد وقف الإسلام من العلم موقف التقدير والإعظام ، وحث المسلمين على طلبه ، والاغتراب في سبيل تحصيله ، والقرآن كتاب الإسلام المجيد يوجه المؤمن إلى هذا الدعاء : (وقل ربي زدني علما) طه /١١٤ . ولا يقتصر الأمر على العلوم الدينية وحدها ، بل يمتدُّ ليشمل المعرفة في شتى آفاقها وفنونها وميادينها .

ومما يميز الإسلام أنه لا يكره الناس على اعتناقه ، بل يدعوهم إلى ساحته ، ويحببهم في هديه بالإقناع والترغيب . قال تعالى مخاطبا رسول الهداية محمداً صلى الله عليه وسلم : (أدْعُ إلى سَبيل ربكَ بالحِكْمة والموعظةِ الحسنة وجَادِلهُم بِالتى هِيَ أحْسَنُ) النحل / ١٢٥ . وبهذه الدعوة الحسنة انتشر الإسلام شرقاً وغربا ، وكانت القدوة السلوكية للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحابته الذين حملوا لواء الدعوة من حوله هي أنجح الوسائل في تحول الناس إلى الإسلام عن رغبة وطواعية دون قسر أو إجبار .

جاءت شريعة الإسلام لتحفظ للإنسان أهم حقوقه ، وهي حفظ الدين، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل باعتبارها جوهر حقوق الناس ، ويترتب على حفظها الطمأنينة في النفوس فينصرف الناس إلا تحقيق معنى العبودية لله في الأرض في جو من الأمن الخالص .

والإسلام يدعو إلى السلوكيات الحميدة ؛ لأن الأخلاق العليا هي الأساس لرفعة الأمم ، ولا رقي لها بدون الخلق القويم :

وإنما الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والإسلام يحث المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى ، ويبعث فيهم الإحساس بالقوة والعزة ؛ لأنهم على المنهج القويم ، كما ينهاهم عن التشتت والفرقة .

* * * * *

ولعلنا بعد كل ما ذكرناه عن محامد الإسلام ومعالي خصاله وآدابه وهديه بحاجة إلى أن نكرر القول عن أن الإسلام سبق كل النظم التقدمية، وشرع للناس أكمل نظام ، وأروع تشريع ؛ لأنه من رب الأرباب ، الذي خلق الخلق وهو بهم عليم ، يعلم ما فيه نفعهم وصلاح أمرهم ، فلا يشرع لهم إلا ما ينفعهم ، ويصحح مسيرتهم ، ويضمن لهم السلام والأمن ، ويعطي كل ذي حق حقه ، وبه يسعد الناس ، وعلى

هدي تشريعاته ينال كل صاحب حق حقه ، ويأخذ كل عامل جــزاء عمله، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمـــي علـــى عربـــي ، ولا لأبيض على أسود ، بل الكل سواسية ، هم جميعا أمام عدل الله ســـواء ، أكرمهم عند الله أتقاهم له ، وألزمهم لطاعته ، وأحفظهم لعهده ، وأكثرهم تمسكا بمنهجه . ومن هنا كان التمسك بمباديء الإسلام وهديه هو الـــذى يجعل للحياة الإنسانية هدفا غاليا ، وغاية نبيلة ؛ لأنه يفتح طريقا رحبـــا فسيحا من القيم الفاضلة التى تقود الإنسان إلى حياة طيبة في الدنيا وإلـــى حياة باقية خالدة وإلى جنة عرضها السّـموات والأرض ، ولـــهذا كـــان فضل الله على الناس عظيما ورحمته بهم واسعة ، حين تعهدهم بالهدايـــة الربانية ؛ ليصححوا بها خطأ العقل والحواس ، ويُقومـــوا علـــى هديـــها انحراف الغريزة ، وجموح الأهواء .

والإنسان السوي في نظر الإسلام هو ذلك الذى يجمع القلب الصالح، واللسان الصالح ، والجوارح الصالحة ، وعن طريق تحقق تلك الأمـــور في المسلم فرداً ومجتمعاً تصل الإنسانية إلى هدفها الأســـمى ، وغايتـــها انبيلة ، وتنعم بالسعادة في الدنيا والفوز في الآخرة .

والإسلام منهاج حياة كامل فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارهـــا ومراحلها وفي كل علاقاتها، وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وســـكناتها. ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة كما يتولى بيـــان التكـــاليف العامة الكبيرة ، وينسق بينها جميعا ويتجه بها إلـــى الله فـــي النهايـــة ، ودستور الدعوة الإسلامية سبيل كل سلام، وحرية إختيار لا إجبـــار ولا إكراه بعيد كل البعد عـــن الدمـــاء، بـــريء كـــل الـــبراءة مـــن شـــهر السيف لإخضاع الحكام الظالمين وثلّ عروشهم ، وإنقاذ البشـــرية ممـــا أوقعوه عليهم من ظلم وبطش، ولم تكن الفتوحات في واقعـــها لتحويـــل غير المسلمين إلى الإسلام إنما كانت لتوسيع نطاق الســـيادة الإســـلامية التى هى سيادة الله ، ومن هنا كانت حروب المسلمين للدفاع والوقـــوف

أمام أعداء الدعوة ، وجهاد من يقف في سبيلها ويصد الناس عنها، والإسلام الحنيف - كما يعلم الجميع - نهى عن الإكراه في الدين ولذلك عاش المسلمون مع غير المسلمين في وطن واحد - وهكذا إنتشر النور في الظلم في بقاع الأرض فلم يفرض نفسه بالقوة، ولكن فرض نفسه بسماحته وقربه إلى النفس البشرية التى رأت فيه أنه يربط بينها وبين الله ويهديها سبيل الرشاد، والهداية في الدنيا ، وطريق النور والنجاة في الآخرة. اللهم صلى وسلم على من هدانا لطريق الحق والنور اللهم صلى وسلم على الرحمة المهداة للعالمين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

حياة النبي قبل البعثة

إنه خير الخلق ، وأكرم الرسل ، ومعلم البشرية !! . وهو الصادق المصدوق الهادى البشير ، الرحمة المهداة ، المبعوث رحمة للعالمين .

وُلِدَ عليه السلام بمكة صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل الموافق العشرين من إبريل سنة ٥٧١ م . دار عمه عقيل بن أبي طالب وفي مولده حدثت معجزات ، إذ ولد عليه السلام ساجدا رافعا إصبعه إلى السماء كالمتضرع إلى الله المبتهل إليه ، واختار له جده عبد المطلب اسم (محمد) وهو اسم لم يكن شائعا عند العرب ، ولكن الله سبحانه وتعالى ألهمه إياه.

وأبوه عبد الله بن عبد المطلب من بني هاشم التى سادت العرب ، وأخذت مكانها في الرياسة والشرف ، وسدانة الكعبة وخدمة بيت الله الحرام ، وقال عليه السلام : إن الله إصطفى العرب من ولد إسماعيل عليه السلام واصطفى كنانة من العرب ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار " . والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو محمد بن عبد الله بن

عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معَدّ بن عدنان .

مات أبوه عبد الله وهو في بطن أمه آمنة بنت وهب له شهرين، وماتت أمه وعمره ست سنوات. فكفله جده عبد المطلب وكان يرعى الغنم في البادية وهو صغير حتى بلغ عمره ثماني سنوات وتوفي جده عبد المطلب، وفي هذه السن اكتسب الرحمة ولين الجانب ، ثم كفله عمه أبو طالب حتى بلغ اثنتي عشرة سنة فأخذه معه في تجارة إلى الشام.

وهكذا نبتت من حرارة اليتم ووحشة العزلة ، وانقطاع العطف والحنان من الوالدين صفات الصلابة ، والاستقلال ، والعطاء ، والقدرة على التحمل ، والإرادة القوية ، والتحدى الذى لا حدود له ، وبالفقر والحرمان تربى ونما بعيدا عن الغنى وحياة الرفاهية ولقد اختاره الله سبحانه وتعالى ، ورباه على عينه ، وأراد أن يكون يتيما فقيرا ، وبذلك شب محمد يحمل مقومات الشخصية القوية مضافا إليها ما إستشفه من خبرات الحياة الخشنة التى واجهها ، وتجاربه التى مر بها في الأسفار ، والاشتغال بالتجارة ، فعرف الناس وطبائعهم وكيفية التعامل معهم . ومن يتمه استبان للبشر سمو الرعاية الإلهية التي اكتنفت من لا حول له ولا قوة ، ولا جاه ولا سلطان

حتى أصبح معلما للبشرية ، وهاديا إلى الله بإذنه !! .

واصطفاه ربه أميا لا يقرأ ولا يكتب ليكون أدخل في الإعجاز، وأدعى إلى العجب إذ يكون معلما لأساطين الفلاسفة والمفكرين: (ذلك فضلُ اللّه يؤتيه من يشاء واللهُ ذو الفضلِ العظيم) الجمعة / ٤ .

ولما كان أبرز ما في شخصيته صلى الله عليه وسلم الصدق والأمانة إختارته السيدة خديجة بنت خويلد ، وهي أرملة ثرية من قريش ليتاجر لها في مالها ، فكان أمينا على مالها ، صادقا في معاملتها ، فربحت

تجارتها ، وأعجبت به آمنة لصدقه وأمانته وحسن خلقه ، فبعثت برغبتها في الزواج منه ، وكانت قد رفضت قبل ذلك كثيرين من وجهاء قريش الذين تقدموا طالبين الزواج منها ، ولكنها فضلت محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقالت في أسباب ذلك : " يابن العم . إني قد رغبت فيك لقرابتك وسلطتك في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك " وقبل محمد صلى الله عليه وسلم الزواج منها بعد أن عرض الأمر على عمه أبي طالب الذي بارك ذلك الزواج ، ودفع لابن أخيه الصداق .

وكان عمره صلى الله عليه وسلم عند زواجه من خديجة رضي الله عنها خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها أربعين سنة . وقد دام زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة خمسا وعشرين سنة ، أنجبت منه خلالها أكثر أولاده ، إذ أنجبت له من البنين : القاسم ثم عبد الله وقد توفيا صغيرين ، ومن البنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، ولم يتزوج عليها الرسول صلى الله عليه وسلم طوال عشرتها له ، وكان يحبها ويذكر تأييدها ومساندتها له عندما بدأ تكليفه بالرسالة ، وقد تحملت معه صنوف المعاناة ، وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة ، وكان قد مضى على البعثة عشر سنوات ، وسميَّ عام وفاتها عام الحزن، وأثنى عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكان مما قاله عنها: " ما رزقني الله خيرا منها ؛ آوتني إذ قطعني الناس ، وأعطتني من مالها إذ حرمني الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس .. " . وهذا وفاء من رسول الوفاء ، وإحقاق للحق واعتراف بالجميل، وكلها من شيم الكرام!!

أما حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فقد كان مثال الإنسان الملتزم ، ولم يكن في حياته ما يجعله ذا طبيعة مختلفة عن حياة الناس في بيئته ، فلم يعرف بثروة طائلة ، أو قدرة خارقة ، بل كان ما يميزه هو حسن الخلق ، وكانت ثروته الحقيقية من الفضائل وكريم الشيم ،

واجتمع في شخصيته كل ما يعرف العرب من نبل ومروءة ، وصدق وأمانة ، وعقل ورزانة ، وكان نقي المعدن ، حسن السيرة ، طيب الأحدوثة ، يُعرف بكل خير ، يكابد السعي طلبا للرزق ، فيرعى الغنم صغيراً ، ويضرب في الأرض كبيراً ... ، ولمنزلته صلى الله عليه وسلم عند قومه قبل البعثة رضوا به حكماً عندما جددت قريش بناء الكعبة بعد تصدع جدرانها ، فعندما اختلفوا فيمن يرفع الحجر الأسود ليضعه في موضعه وكادوا يتقاتلون احتكموا إلى أول داخل عليهم من باب بني شيبة ، فكان القادم هو محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأوه استبشروا وقالوا : هذا هو الأمين . رضيناه حكماً ! وقد سَمى الله عز وجل مكة البلد الأمين ، وهي البلد الذي ولد فيه وبعث في أهله أشرف الخلق محمد عليه صلوات الله وتسليماته .

وهكذا اصطفى الله رسوله محمدا من خلقه، ورفع له ذكره، وشرح صدره، وأعلى شأنه ، فكان نعم المصطفى والمجتبى، وأدَّبه فأحسن تأديبه، ووجده يتيماً فآوى ، ووجده ضالا فهدى، ووجده عائلا فأغنى!! فاللهم صل وسلم على خير خلقك وخاتم رسلك وسلم تسليما كثيرا.

النبي والوحي:

لمَّا قارب عمر محمد صلى الله عليه وسلم الأربعين حُببت إليه الخلوة والانعزال عن الناس ، والتدبر في كون الله الفسيح ، فكان يأخذ بعض الزاد ويذهب إلى غار حراء في شهر رمضان من كل عام ، وكان يمضي وقته في التأمل والتفكر والدعاء ... ، وفي ذات ليلة رأى رؤيا أن قلبه قد أخرج من جوفه فطهر وغسل ثم أعيد إلى موضعه كما كان ، فلما أخبر خديجة بذلك طمأنته وهونت عليه وبشرته خيرا .

وذات يوم بينما هو في الغار نزل عليه جبريل الأمين ، وقال له إقرأ فقال محمد ما أنا بقاريء . فضمه جبريل إلى صدره وقال له : إقرأ !!

فقال محمد ما أنا بقاريء فضمه جبريل الثالثة وقال لـــه : (إقــرأ بسم رَبِكَ الذَّى خلقَ) العلق / ١ .

ومن فرط ما أصابه من الجهد الذي لقيه مع جبريل ذهـــب لزوجتــه خديجة وهو يقول لها : دثريني ! دثريني ! ولما أخبرهــا بمــا حصــل ذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عمها وكان نصرانيا يقــرأ الكتــب وأخبرته بما حدث لمحمد زوجها فقال لها ورقـــة : قــدوس . قــدوس والذى نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الأكبر وهو جبريل الذى كـــان يأتى موسى . وإن محمداً لنبى هذه الأمة !! . وفي يوم خرج محمد إلـــى الغار كما كان يفعل ويتأمل ويتفكر ثم خرج منه حتى إذا كـــان وســط الجبل سمع صوتا من السماء يقول له : يامحمد . أنت رســول الله وأنـــا جبريل . واستمر محمد واقفا ينظر إليه . ثم ذهب محمد إلـــى خديجــة وأخبرها بما حصل فأشارت إليه أن يأخذ صديقه أبا بكر ويذهب إلــــى ورقة بن نوفل . فقال ورقة يا محمد كيف يأتيك الـــذي يـــأتيك ؟ قـــال محمد: يأتينى من السماء جناحاه لؤلؤ وباطن قدميه أخضر وإذا خطــوت سمعت نداء خلفي يقول يا محمد أنت نبي هذه الأمـــة وأنـــا جــبريل . فطمأنه ورقة وقال له كما قال له قبل ذلك ، ثم انقطع الوحى من محمـــد مدة ثلاث سنوات فحزن الرسول وبينما كان يمشى محمد في شـــعاب مكة رأى الملك الذى يأتيه على كرسى بين الســـماء والأرض ، ففــزع وذهب إلى خديجة وقال لها : زملوني !! فزملته فجاءه جبريل وقال لـــه : (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) المزمل / ١ . ورأت خديجة محمـــداً كأنه يصغي لأحد يناجيه ، وقد تثاقلت أنفاسه ، والعـــرق يتســـاقط مِــن جبينه ثم سُرِّي عنه وكأنه يستعيد ما سمع . وهو قول الحق جل وعـــلا : (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فـــاهجر ...) المدثر / ١ ــ ٥ .

وكـــبَّـــر هو وزوجته خديجة وعلمت أنه الوحـــي مِـــن الله تعـــالى

وذهب محمد إلى ورقة وأخبره فقال له أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنه الذي بشر به بن مريم عيسى عليه السلام ، وأنك على مثل ناموس موسى عليه السلام ، وأنك نبي مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد . فرجع محمد وقال لخديجة ــ قد أمرني جبريل أن أنذر الناس وأدعوهم إلى الله وإلى عبادته فمن أدعو ؟ ومن يستجيب ؟ فكانت خديجة أول من آمن وقالت بصدق ــ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم آمن أبو بكر ثم على بن أبي طالب ــ

ولم يكن محمد عليه السلام أول نبي خاطب الناس باسم الوحي قال تعالى :

(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن السهوى . إن هو إلا وحيٌ يُوحى) النجم /١ ــ ٤ .

فالله سبحانه وتعالى يبعث كل رسول بمعجزة تلائم قومه ، وما برعوا فيه ، وظنوا أنهم بلغوا مبلغ خوارق العادات حيث كانوا على جهالة عقلية بدائية ــ فأراد الله أن ينقذ البشرية والإنسانية المعذبة فأرسل محمداً للناس كافة والعالم أجمع هاديا ومبشرا ونذيراً ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأنزل الله القرآن المعجز دستور البيان ، ومصدر العلم والفرقان ، ونزل القرآن عن طريق الوحي بواسطة جبريل عليه السلام . قال تعالى : (وإنه لتنزيل ربِ العالمين . نزل به الرُوحُ الأمينُ على قلبك لتكونَ من المُنذرين بلسان عربي مبين) الشعراء / ١٩٢ ــ ١٩٥ .

وكان جبريل يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة رجل ويطمئنه بالقول ولا يروعه فيعى ما يقوله . قال تعالى : (إنه لقول رسولٍ كريم . ذى قوةٍ عند ذِى العرش مكينٍ . مُطاعٍ ثم أمينٍ) التكوير / ١٩ ــ ٢١ . وفي أحيان أخرى كان يأتيه الملك في النوم ، فما كان الرسول يلبث أن يأوي إلى فراشه ويغفو إغفاءة حتى ينهض ، ويرفع

رأسه مبتسما كما حدث في سورة الكوثر وهذه هي الرؤيا الصادقة ، ويقول الرسول رؤيا الأنبياء حق ، ونحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا .

وتلك هي مراتب الوحي التى يبلغ الله بها أنبياءه ما يوحى إليهم به من مبادئ وتعاليم الرسالة التى سينهضون بها لكي يقوموا بدورهم بتبليغها إلى الناس .

وهذه المراتب كلها تدور حول استقراء المعانى وتثبيتها في قلوب الأنبياء، لكي يصبروا على تبليغها ، ويتحملو في سبيل ذلك المشقة والعناء.

وكان محمد عليه الصلاة والسلام عندما أول من اهتدى بهدي ربه ، وتخلق بخلق القرآن ، وبما تضمنه من صدق وجلال ، وخير ، ومرحمة وهو الرجل الذى خلت فطرته من شهوات الأرض فانتشرت في أرجائه الباطنة ومضات الوحي فهي تبرق في شمائله ومسالكه كما تتلألأ الآفاق في صحوة صافية . وكان الرسول عليه السلام أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ، ومن ثم اتخذ لنفسه كُتابا يكتبون عنه ما نزل عليه من الوحى وهو عليه السلام سيد الحفاظ دون منازع وأول الذين جمعوا القرآن فقد كان الوحى ينزل ببعض الآيات أحيانا ، وبالسور الكاملة أحيانا أخرى فكان عليه السلام إذا نزل عليه الوحى دعا بعض من كان يكتب فيقول صفوا هؤلاء الآيات في السورة التى يذكر فيها كذا وكذا .

ومن أبرز كتاب الوحي : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى، ومعاوية ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وخالد بن الوليد ، وثابت بن قيس، وعبد الله بن مسعود وكانوا يكتبون على جريد النخل أو عظم البعير أو صفائح الحجارة ، ويجمعونه على الجلد . وبعد موت الرسول عليه السلام قيض لأبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن كله خلال سنة ، وقد أشار علي بن أبي طالب بذلك بعد وفاة أبي بكر في قوله رحم الله

أبا بكر هو أول من جمع كتاب الله بين لوحين ، ثم جُمع القرآن الكريم كله في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في مصحف واحد .

لقد كان مجيء الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم موزعا على سنوات متواليات ؛ ليزداد شوقه صلى الله عليه وسلم لما يوحى إليه، ويسهل عليه تحمله ، ويكون عونا له في مختلف المواقف والحوادث ، وتلك من أمارات الإكرام وعلو المنزلة . يقول عليه الصلاة والسلام : " ... وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة " . وفي هذا الحديث فضلية عظيمة للقرآن على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء ، وعلى كل كتاب أنزل !!.

النبي محمد عليه السلام ، وبعثه :

لقد كانت بعثته صلى الله عليه وسلم ميلاداً للحق في أبهى صوره، وكان شروق هذا الحق إيذانا بزوال الحيرة، والشقاء المخيم. ففجرت دعوته ينابيع الرحمة بين الناس، وأوضحت لهم طريق النور والهداية والرشاد، إذ أتت بالهدى ودين الحق، فكانت رحمة للعالمين، مصداق ذلك في قوله عز من قائل: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء/ ١٠٧.

فقد جاء عليه السلام والعالم يسبح في ظلمات الجهالة والظلم والاستعباد والشرك وعبادة الأصنام . جاء والعرب جزيرتهم قبائل متشاحنة ، يتخبطون في ضلالات الشرك ، ومرذول العادات ، ومن حولهم قوتان عظميان يسودهما الصلف والطغيان ، وهما دولتا الفرس والروم ، يخوضون حروبا لا تكاد تهدأ حتى تثور وتحتدم ، ويسوقون لتسفك دماؤها في صراعات عصبية بغيضة ، فضلا عن كونهم يغطون في جهل شديد ، وفي إباحية وانحلال من الأخلاق والقيم الإنسانية ،

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يحق الحق ، ويبطل الباطل بكلماته ويرسل محمداً وينزل القرآن المعجز هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وليبدد ظلمات الجهل ، وينير للناس سبل الحياة ، ويدعو إلى توحيد الله والإيمان به وباليوم الآخر . فجاءت رسالته عليه السلام تدعو إلى إفراد الله سبحانه بالعظمة والجلال ، والتقرب إليه جل شأنه بصدق الإيمان ، وصالح الأعمال وأنه الواحد ليس له شريك . ثم كان عليه السلام قدوة دائمة لأتباعه وأسوة حسنة لمن يحبون الله ويرجون رحمته ، إذ تجرد عليه السلام من كل معاني الغرور والكبرياء ، وهو عبد الله وسيرته قدوة ترمقها بصائر المؤمنين في كل وقت تستمد منها طهارة القلب من الإثم وطهارة العقل من الخرافة .

إنه خاتم الأنبياء برسالته ، وخاتم الرسل فلا نبي بعده ، أيده الله بالمعجزات ، وفضله على سائر الأنبياء ففرض محبته وأوجب طاعته ، وألزم متابعته ، وخصه بخصائص لم تكن لأحد سواه منها ـ الوسيلة ، الكوثر ، الحوض ، المقام المحمود قال تعالى : (ما كان محمداً أبا أحدٍ من رجَالكُم ولكن رسولَ الله وخاتم النبيين) الأحزاب /٤٠ .

فحبه عليه السلام ركن في الإيمان وآية على صدقه ، وكلما ازداد هذا الحب اقترب المسلم من مرضاة الله واستكثر من طاعته فكان عليه السلام بشارة بعهد جديد في تاريخ البشرية وبدين قويم صالح لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة ، وايذانا بتكريم الإنسان واحترامه ، وخروجا بالانسانية من ظلمة الجهالة إلى نور العلم والإيمان فحقيقة الرسول فوق ما يصف الواصفون ، والأيادي التى أسداها تجعل كل مؤمن مدينا له بنور الإيمان الذى أضاء نفسه وزكاها قال تعالى : (وإنك لتَهدِي إلى صِراطٍ مُستقيمٍ) الشورى / ٥٢ . والدعامة الأولى في عظمة المصطفى رحمته الواسعة وقلبه الكبير فقد كان يبذل جهوداً مضنية لهداية الحائرين والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة . وأمام نداء العدالة تذوب كل قرابة ،

ويرتفع صوت العدل فيقول لإبنته فاطمة : " يافاطمة بنت محمد . اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا ".

وأمام العفو والسماحة يقول لكفار قريش وقد وقفوا جميعا أسرى بين يديه بعد فتح مكة : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم : قال اذهبوا فأنتم الطلقاء " !! .

والثناء عليه ينبجس من ينبوع الثناء على ربه سبحانه وتعالى فهو تقرير حقيقة وشكر جميل وأعظم الناس شكرا لله من يحبون رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أشرف الخلائق نفسا وأزكاها معدنا ولأن النعمة التى أفاءها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لا نظير لها في الأولين والآخرين ، فقد نادى سبحانه وتعالى كل نبي باسمه إلا محمداً !! .

فقال لآدم عليه السلام (ويـاآدمُ أسكُنْ أنتَ وزَوجُكَ الجنةَ) الأعراف /١٩ . وقال لنوح عليه السلام : (يا نوح اهبط بسلام منا) هود/ ٤٨. وقال لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : (يا موسى أقبل ولا تخف) القصص / ٣١. وقال لإبراهيم عليه السلام : (يا إبراهيم أعرض عن هذا) هود / ٧٦. وقال أيضا : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) سورة ص / ٢٦. وقال لعيسى عليه السلام : (... يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) المائدة /١١٠ .... ، وهكذا في خطاب الأنبياء والرسل جميعا إلا محمداً صلى الله عليه وسلم فلم يخاطبه بهذا الخطاب بل كرمه وأعلى مقامه ، وقرن عزته بعزة ربه جل وعلا فقال : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) المنافقون / ٨.

والله قد كرم رسوله بأن أقسم بحياته فقال عز وجل (لعمرك إنَّهُم لَفِي سَكرتهم يعْمَهُون) الحجر / ٧٢. أى بحياتك ولم يقسم بحياة نبي غيره ، والله جعل طاعته من طاعته فقال سبحانه وتعالى : (مَّنْ يُطِع

الرسولَ فقد أطاع الله) النساء /٨٠.
وجعل مبايعته مبايعة لله فقال عز وجل : (إن الذيـــنَ يُبَـايعُونك إنَّمـا يُبايعون الله) الفتح /١٠. ورتب محبته على إتباعه فقال عز وجل : (قـل إن كنتم تُحِبون الله فاتَّبِعُونى يُحبيكُمُ اللهُ) آل عمـــران / ٣١ . وجعـل الله حكمه من حكمه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمونك فيما شجر بينـــهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النسـاء /٦٥ .
وقد جعله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منـــيراً ــ فقال له (يا أيُّها النَّبيُ إنا أرسلْناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلـــى الله بإذنه وسراجا مُنيراً) الأحزاب / ٤٥ ، ٤٦ .

وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا عابدا لأنه لم يخلق لمتاع الدنيـــا ، ولكنه جاء لإسعاد البشرية ولإنقاذ الإنسانية من الجـهالات والضـلالات ولإخراج الناس من الظلمات إلى النـــور ، وليرســي دعـائم التوحيـد والإيمان ، ولتكون أمته خير أمة أخرجت للناس . وقد كلمــه ربنـا إذ دعاه إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى إلى أن تجلى عليه فقـال : " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " من غير واسطة فســبحانه وتعالى كلم موسى من وراء حجاب بطور سيناء (فلما تجلى ربه للجبـل جعله دكا وخر موسى صعقا) الأعراف / ١٤٣ . وكرم محمـــداً فنـاداه بأحب الأسماء إليه ولم يناد نبيا بنداء التكريم مثله فقال عز وجل :
(يأيها الرسولُ بَلغْ ما أُنزل إليكَ من ربكَ) المائدة / ٦٧ . وقال ســبحانه في آية أخرى : (يأيُّها النَّبىُ حَسبُك الله ومن اتَّبعـكَ مـن المؤمِنيـن) الأنفال / ٦٤ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : " فُضلت على الأنبياء بستٍ : أعطيـت جوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنـائم ، وجعلـت لـيَّ الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون ".

والله قد أكمل برسوله الملة وأتم به النعمة ، وارتضى لنا الإســلام

دينا ــ قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتــــى، ورضيت لكم الإسلام دينا) المائدة / ٣ . ورســـول الله حــامل رســـالة السلام إلى البشرية كلها فهو يقول : " إن الله قد جعل السلام تحية لأمتنا، وأمانا لأهل ذمتنا وجعل الله الأمن حقا للمؤمنين "
(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ألئك لهم الأمـــن وهــم مـــهتدون) الأنعام / ٨٢.

فكان يوم بعثته بداية فتح ، وتكريم ، وتربية ، وتعليم ، وتبيان لعظمـة المولى جل علاه ، ودستور حياة كلها خير ونعيم ، وإنما حاربه الكفـــار لأنهم رأوا فيه الحق وفي الحق دمارهم ، ورأوا فيه العدل وفي العـــدل هلاكهم ورأوا فيه التسامح والمودة والمحبة وفي هذا ضياع لصولجانــهم، وإنهيار لسلطانهم القائم على الظلم والعدوان .

فاللهم صلى وسلم على أشرف خلقك ، وخاتم رسلك المبعوث رحمـة للعالمين .

* * * *

القرآن الكريم الكتاب المعجز

هو معجزة الرسول ، وكتاب الهداية ، وهو دستور الإسلام ، جمع خيرات لا حصر لها ، وفوائد لم تجتمع في كتاب . يبشر بالثواب والمغفرة ، ويزجر عن القبيح والمعصية ، حقيق بأن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد ، واشتماله على المواعظ التى تلين لها القلوب ، وهو الهداية والنور إلى الطريق الأقوم الذى أمر الله سبحانه وتعالى به المؤمنين وبينه نبينا سيد المرسلين : وهو كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ومنهج حياة لا كتاب قصص وتسلية، وسرد أحداث وتواريخ . ثم هو أساس الدين ، وحبل الله المتين ، وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة ، ونور الأبصار ، لا طريق إلى الله سواه . فشرائعه تنشط بها الأذهان ، وتصغى لها الآذان . كما أن فيه الهداية إلى الطريق السويّ ، وإلى الصراط المستقيم ، ويرشد إلى تقوى الله ، أما قصص الأنبياء والأمم السابقة في القرآن الكريم فتمثل موكب الإيمان الممتد ، وقصة الدعوة إلى الله وموقف البشر جيلا بعد جيل . كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من أنبياء الله ورسله ، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذى خصهم بهذا الفضل العظيم ، وأنه سبحانه واحد لا شريك له ، وهو المستحق لأن يُفرد بالعبادة فلا معبود سواه قال تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء / ٨٢ .

والقرآن حقيقة ذات كينونة مستمرة كهذا الكون ذاته ، فالكون كتاب الله المنظور ، والقرآن كتاب الله المقروء وكلاهما شهادة ، ودليل على الخالق المبدع

فالكون بنواميسه ما زال يتحرك ويؤدى دوره الذى قدره له بارئه ، والقرآن كذلك أدى دوره للبشر ، وما زال هوهو ، وكذلك الإنسان

مايزال هو هو في حقيقته وأصل فطرته ، والقرآن هو خطاب الله لهذا الإنسان خطاب لا يتغير ؛ لأن الإنسان ذاته لم يتبدل خلقا آخر .

امتد نزول القرآن على رسول الله ثلاثة وعشرين عاماً والرسول يدعو بما جاء به ، ويعمل بما أنزل فيه ؛ لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وحثهم على الإيمان بالله الواحد والإيمان باليوم الآخر . وهكذا نجد أن القرآن الكريم هو نور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وهو مع ذلك الحد الفاصل بين الكفر والإيمان . وهو روح الدعوة ، وباعثها ، وهو قوامها ، وكيانها ، وهو حارسها وراعيها ، وهو ترجمانها وبيانها !! .

وللقرآن أسماء تدل على رفعة شأنه وعلو مكانته فسمي القرآن ، قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ) الإسراء / ٩ . وسمي الفرقان كما يؤخذ من قوله جل شأنه : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) الفرقان / ١ . قيل : لأنه يفرق بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين الحلال والحرام . وسمي أيضا الذكر ، من التذكر والشرف (وإنه لذكرٌ لك ولقومِكَ) الزخرف / ٤٤ . أي إن القرآن لشرف لك ولقومك .

وسمى قرآنا لجمعه الأحكام والقصص والمواعظ والأمثال .

ومن آداب القراءة في كتاب الله أن يكون القاريء متطهرا ومستقبلا القبلة ومتحريا أفضل الأوقات كالليل وبعد الغروب وبعد الفجر . قال تعالى : (وقرآن الفجر إن قُرآن الفجر كان مشهودا) الإسراء / ٧٨ . والتلاوة لكتاب الله على النحو الأمثل تعنى شيئا آخر غير مجرد المرور بكلماته بصوت أو بغير صوت ، بل تعنى تلاوته عن تدبر ينتهى إلى إدراك وتأثر وإلى عمل بعد ذلك وسلوك ، ولقد نزل القرآن لهذا الغرض ليتدبر المسلم آياته ، ويتفكر فيما فيه من الوعد والوعيد والثواب

والعقاب ، وحامل كتاب الله حامل راية الإسلام . فهو أشرف العلوم موضوعا وغرضا ؛ فهو كلام الله ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة، والغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى ، والوصول إلى السعادة الحقيقية ألا وهي معرفة الله سبحانه وتعالى ، ولا يؤتى الإيمان بالله ثمرته إلا إذا كان مقترنا بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، بل يجب أن تؤمن كذلك بأن محمداً عليه الصلاة والسلام رسول الله أوحى إليه القرآن بكل ما يدل عليه القرآن من حساب وثواب وعقاب في الآخرة .

اللهم صلى وسلم على أشرف خلق الله سيدنا محمد بن عبد الله عدد خطوات الخضر بحراً ، وعدد خطوات الخضر براً ، وأبعاد ما سارت الرياح لسليمان عليه السلام طولا ، وأبعاد ما سارت له الرياح عرضا !! وسلم على محمد عبدك المرسل بالرحمة بشيراً وبالوعيد نذيراً !! الأول نوراً ، والآخر ظهوراً ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

من فضائل القرآن

وللقرآن الكريم فضائل لا تكاد تحصى ، وفيوض خير لا يعلمها إلا الله ، غير أنني أشير هنا إلى بعض ما تيسر لي مما ذكره أهل العلم من فضائل القرآن وبركاته ، وما ينتظر المداوم على تعهده وحفظه وتلاوته، ومن أهمها :

(1 أن القرآن هو البلسم الشافي للقلوب العامرة بحب الله ، والاعتصام يعصمها من الخطأ والزلل .

(2 أنه يقرر وحدانية الله ، ويسوق عليها الدلائل الباهرة ، والحجج الدامغة ، ولا غرو فهي أساس كل اعتقاد صحيح ، وسبيل كل هداية حقة. كما يؤكد بما لا موضع للشك معه وجود الله ، وسعة ملكوته ، وجميل صنائعه .

(3 أن القرآن هو النور المبين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الشفاء لمن تمسك به ، وسبيل النجاة لمن اتبع هديه .

(4 أنه يحث على حبس النفس عن الشهوات .

(5 يتأكد لصاحب القرآن ومتعهده أن الإيمان اعتقاد وعمل ، ومعرفة العبد ما افترض عليه .

(6 يهذب الهدي القرآني النفوس بذكر الأخلاق التى تصلح من شأن الفرد والجماعة . كالصبر ، والصدق ، والوفاء ، وأداء الأمانة ، والتحذير من الأخلاق السيئة التى تسبب الشقاء كالكذب والخيانة ، وإخلاف الوعد ، ونقض العهد .

(7 يرسي القرآن كثيراً من أصول أحكام المعاملات في البيع والشراء ، وأحكام الجنايات وأحكام الميراث وأحكام الحرب والسلم .

(7 كما يرسي القرآن الكريم أصول العلاقات الاجتماعية بما يحقق العدل الاجتماعى بين الناس ، ويشدد على إشاعة المودة والتراحم فيما بينهم .

(8 يؤكد الكتاب المحكم على كثير من مقومات التربية النفسية الصحيحة للمسلم بحيث يكون مهيئا للصبر على البلاء ، والشكر في الشدة والرخاء ، والرضا بالقضاء ...

(9 إثبات نبوة الأنبياء ، وإثبات الحشر ، وذكر ما في الآخرة من الحساب ، والجزاء ، وصحائف الأعمال ، والجنة والنار .

(10 ومن فضائل القرآن العظيم ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : " من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله ، وحرم حرامه أدخله الله به الجنة " .

(11 ومنها ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله : " إذا أردتم العلم فعليكم بالقرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين " .

(12 أن القرآن يوضح لنا الغاية التى أوجدنا الله من أجلها في هذه

الحياة وهي أن نعمر دنيانا بالإيمان ، والعمل الصالح ، والكلام الطيب بما يعود علينا بالخير ، وأن نعبد الله ولا نشرك به أحدا .

(13 أن القرآن هو أساس الدين ، ومصدر التشريع ، وحجة الله البالغة في كل عصر وهو ذهاب همومنا ، وجلاء صدورنا ، وقائدنا وسائقنا إلى جنات النعيم .

قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : " من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ، ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن " !! . وقالت عائشة رضى الله عنها : " من قرأ القرآن فليس فوقه أحد " .

(14 أن الاعتصام بالقرآن والتمسك بما جاء فيه كان هو الذي مكن المسلمين الأولين في الأرض ، فبه فتحوا البلاد ، ودانت لهم رقاب العباد ، ومكنهم الله في الأرض ، وانتصروا على الأعداء ، وكان في مقدمتهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون ، وسار على نهجهم العلماء العاملون والقادة المصلحون .

من إعجاز القرآن الكريم

هذه إشارة إلى وجه من وجوه الإعجاز في ذلك الكتاب المحكم لفظا وحروفا وأعداداً إذ تجد فيه مقابلات عددية توازي بعض المقابلات اللفظية ، ومن أهمها :

أنه قد لوحظ أن لفظ الحياة ومشتقاتها يتكرر ١٤٥ مرة . وكذلك لفظ الموت ومشتقاته يتكرر ١٤٥ مرة . وكلمة الدنيا في القرآن الكريم تتكرر ١١٥ مرة . وبالعدد نفسه ١١٥ وردت كلمة الآخرة . والملائكة يأتى ذكرها ٨٨ مرة . والشياطين بالمثل ٨٨ مرة . ومن أوجه الإعجاز الأخرى:

(1 النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب .
(2 الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية .
(3 الجزالة التى لا يمكن لمخلوق أن يأتى بمثلها .
(4 التشريع الدقيق الذى يفى بحاجات البشر .
(5 الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلية التى لا تعرف إلا بالوحي.
(6 الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن من وعد ووعيد .
(7 عجز المخلوقين أن يأتوا بمثله .
(8 تيسيره للحفظ قال تعالى :
(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِرٍ) القمر /٤٠ .
(9 أنه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد بخلاف سائر الكلام .
(10 عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله وهو عجزٌ كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به ، فهو كلام الله ووحيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنه حق وصدق . وعدد سور القرآن ١١٤ سورة .

وعدد أجزاء القرآن الكريم ٣٠ جزءاً ، وعدد أحزابه ٦٠ حزباً ، وعدد آياته ٦٢٣٦ آية ، وعدد المكي منها ٤٤٧٥ آية نزلت على الرسول بمكة ، وعدد الآيات المدنية ١٧٦١ آية نزلت على الرسول بالمدينة المنورة.

مراحل تبليغ الدعوة وجهاد المعاندين

وفي وسط هذا الظلام الحالك المخيم على شبه الجزيرة العربية كانت الإنسانية في مسيس الحاجة إلى الهداية والإصلاح ، وإلى القائد والمنقذ الذى يهيء لها طريق الرشاد ، ويحيي العُقول ، من الجمود والغواية ،

ويلوح تحت سماء مكة نور وتنطلق صيحة حق تنبه الغافلين ، وتوقظ النائمين ، فقد بُعث محمد بالرسالة الخاتمة وبدأ الرسول في أول الأمر يدعو الأقربين من أهله سرًّا وكان أول من صدق به زوجته خديجة ، ثم أبو بكر الصديق من الرجال ، ثم آمن به علي بن أبي طالب ، ثم استمر الرسول في الدعوة سراً حتى نزل قول الله تعالى : (فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وأعرِضْ عنِ المُشركينَ إنّا كفيناكَ المُستهزئين)

الحجر /٩٥ . فجهر الرسول عليه الصلاة والسلام بالدعوة ممتثلا لأمر ربه . عندئذ حقد أهل مكة على بني هاشم أن يكون الرسول منهم !! والحقد ولّد الغضب والغضب ولّد العمى والعناد والمكابرة !! . فأعلنتها قريش حربا لا هوادة فيها على الرسول وأتباعه . وكانت زوجته خديجة تؤازره وتشجعه وتسانده بما معه من الحق ضد الكثرة المتحكمة في زمام الأمور والمتسلطة عليها من سادات القوم وأثريائهم . والنبي عليه الصلاة والسلام يتحمل أذى قومه وانتقامهم ، وغضبهم عليه وكيدهم له بكل وسائل الأذى والعدوان ، وهو صابرٌ على السخرية ، والإستهزاء والتهديد والإيذاء ؛ ثقة ويقينا بأنّ نصر الله آت وفي سبيل الحق ودعوة ربه لأنه عليه السلام ـ النبي الذي لا ينشد لنفسه متاعا ، ولا يبتغي في هذه الدنيا علوا فوظيفته العمل لله ، وإبلاغ رسالته، وهي تقوم على الدينونة لله وحده بلا شريك فإن ما جاء به النبي جاء به الرسل من قبله حقيقة واحدة مُوحى بها من الله .

ولما اشتد أذى المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عمه أبو طالب مشفقا عليه : ياابن أخي : إن قومك أنذروني فأبق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق !! فيرُدُّ الرسول الواثق بربه المؤمن بدينه : " والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما

تركته !! " .

وماتت خديجة التى كانت سنده ، ومات عمه أبو طالب في نفس العلم ولم يكن في عشيرة النبي وأعمامه حاميا له ولا نائبا عنه غيره فعظمت المصيبة وسماه المؤرخون وكتاب السيرة عام الحزن . وكان عمه له عضداً وحرزاً في أمره ، وناصرا على قومه فنالت قريش من النبي من الأذى ما لم تكن تبلغه في حياة أبي طالب . واشتد الإيذاء أكثر وأكثر ، ويأتى الجواب شافيا لكل آلام الرسول كافيا لتحقيق ما تمناه على الله.
(ما ودعكَ ربُّكَ وما قلىَ وللآخِرةُ خيرٌ لك من الأولىَ) الضحى/ ٣،٤.

واستمر الرسول يتحمل الأذى بكل صدق وعزيمة وكل صبر وقوة في سبيل الدعوة إلى عبادة الله ووحدانيته مدة ثلاث عشرة سنة وهو بمكة ، منها ثلاث سنوات بعد موت خديجة وأبي طالب ، وبلغت الحوب المعلنة عليه وعلى دعوته أقصى مداها حتى أمره الله سبحانه وتعالى بالهجرة إلى يثرب .

الهجرة وأثرها في الإسلام

لما أوحى الله لرسوله بالهجرة من مكة إلى يثرب وعلم أنه أمر الله سبحانه وتعالى وقضاؤه الذي لا بد أن ينفذ ذهب صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر الصديق وأطلعه على عزمه ، وأمره بالإستعداد للهجرة وكلف عليًا بن أبي طالب أن ينام في فراشه لتضليل الكفار المترقبين للنبي أمام داره للإنتقام منه ، ثم خرج الرسول في جوف الليل وهو يقرأ سورة يسٓ (يسٓ والقرآن الحكيم حتى قوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهمْ لا يُبْصِرون) يس / ٩ . وجعل يضع التراب على رءوسهم حتى وصل إلى دار أبي بكر وخرج النبي وأبو بكر ليلا قاصدين غار ثور ، ودخل الكفار دار النبي ،

وأيقظوا من في الفراش فإذا هو على بن أبي طالب فخرجوا خاســـرين ، واشتد غضبهم وساروا متتبعين الأثر حتى وصلوا إلـــى غــار ثــور ، وكانت معجزة الله القدير لتضليل الكفار والمشركين . وقد سد باب الغـار بعش الحمام والبيض وخيوط العنكبوت . كما نمت شجرة لم تكن ناميـــة من قبل ورجع الكفار ، والحقد يملأ قلوبهم والغيــظ يمـــلأ صدورهـــم ، واستمر الرسول وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام ذاكرين الله فكلما ذكر أبـــو بكر كلمة الخوف يطمئنه النبي عليى الصلاة والسلام بقوله : " لا تخـف إنّ الله معنا " . وبعد ثلاثة أيام خرج الرسول وأبو بكـــر مـــن الغـــار قاصدين قباء على مشارف يثرب أى ضواحيها ووصل الركب النبـــوى قباء ومكث النبي فيه ثلاثة أيام بنى فيها الرسول عليه الصلاة والســـلام مسجده الذى مدحه الله في القرآن بقوله تعالى :
(المَّسجد أسّس على التقوى مِن أول يوم أحقُ أن تقوم فيه فيـــه رجـالٌ يُحبوُن أن يتطهروا والله يحبُ المطِهرين) التوبة / ١٠٨ . وكـــان أول مسجد يصلى فيه المسلمون جماعة علانية آمنين ، ووصل على بن أبـــي طالب مهاجراً إلى قباء والرسول ما زال فيها ، ويعتبر المؤرخون هـــذا اليوم بداية التاريخ الهجري وهو يوم الجمعة الثاني عشـــر مـــن ربيـــع الأول .

وخرج الرسول بموكبه راكبا ناقته وأبو بكر خلفه ومعه من بايعه مـن المؤمنين من أهل مكة وفي الوقت نفسه قد بايعه أهل المدينـــة وأشـــهر قبائلها وهما قبيلتا : الأوس ، والخزرج حتى وصلوا يثرب أى المدينـــة في موكب لم تشهده المدينة من قبل وكان ذلك ســـنة ٦٢٢م . وقوبلـــوا بالفرحة من أهل المدينة الذين قابلوهم منشدين نشيدهم المشهور :

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

وكان للإستقبال الرائع الذى صادفه الرسول في المدينة أحسن الأثر في نفسه إذ أدرك منه استعداد الجميع لتقبل دعوته وشد أزره ، فأخذ يفكر في تكوين أمته ، ووضع الحجر لبنائها على اسس متين ، ومكث الرسول بدار أبي أيوب سبعة أشهر حتى بنى له مسجداً وحجرات بجواره ، وقد وفق عليه السلام لجمع الكلمة ، وجعل الناس يلتفون حول دعوته ، ويصدقون رسالته ، ويؤمنون بما جاء به ، وبذلك استطاع صلى الله عليه وسلم أن يغرس روح المحبة بين الأفراد والقضاء على كل ما من شأنه أن يقف في طريق هذه المحبة ، ويعكر صفوها ، وأخذ يؤاخى بين المهاجرين والأنصار إخاءً يجعل المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأصبحت المدينة مصدر الإشعاع بالعلم والنور ، فكانت الدولة الإسلامية بجيشها الفتى القوى بقيادة الرائد الأول، والقائد الأمثل محمد عليه السلام ، وبعد حروب وغزوات فتح الله على المسلمين مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وبذلك تمت نعمة الله ، وكمل دينه وأظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، والله سبحانه وتعالى يهدى من يشاء إلى سراط مستقيم .

وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام للأمة ما ينفعها في معاشها ومعادها وهو معصوم من الزلل في القول والعمل ؛ إذ جاء بالدين الحق، وإخلاص العبودية لله وإفراد المعبود بحق العبادة وإبطال العادات القبيحة، وكل ما يشوبه شيء من الشرك ، وهو بذلك إنما كان يدعوهم لما يحييهم . إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة وبكل معاني الحياة ،

إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيى القلوب والعقول وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة ومن العبودية لغير الله والمذلة للعبد أو للشهوات .

يدعوهم إلى شريعة من عند الله تعلن تحرر الإنسان وتكريمه بصدورها من الله وحده ووقوف البشر كلهم صفا متساويين في مواجهتها لا يتحكم فرد في شعوب ولا طبقة في أمة ولا جنس في جنس ولا قوم في قوم . ويدعوهم إلى منهج للحياة ، ومنهج للفكر ، ومنهج للتصور يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة المتمثلة في الضوابط التى وضعها خالق الإنسان والعليم بما خلق .

ويدعوهم إلى القوة والعزة والإستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم والثقة بدينهم وبربهم وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده ، وتحقيق إنسانيتهم العليا التى وهبها لهم الله فاستلبها منهم الطغاة . كما أنه يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله لتقرير ألوهية الله سبحانه وتعالى في الأرض وفي حياة الناس ، وتحطيم ألوهية العبيد المدعاة ، ومطاردة هؤلاء المعتدين على ألوهية الله سبحانه وتعالى وحاكميته وسلطانه حتى يفيئوا إلى حاكمية الله وحده ، وعندئذ يكون الدين كله لله قال تعالى (يا أيُها الذّينَ أمَنُوا إستَجيبُوا لله وللرسول إذا دَعاكُم لما يُحييكُمْ) الأنفال / ٢٤ . ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام وهو المعصوم يكثر من دعاء ربه بقوله : " اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " .

وهكذا نجد أن حياة محمد عليه الصلاة والسلام بنيت على معرفة الله والتبتل إليه والهتاف باسمه ، وجمع الناس عليه ، وقد صرح عليه السلام في وضوح وجلاء أن الإسلام ليس مقصوراً على الجنس العربي وقد وردت في القرآن الكريم آيات بينات تؤيد شمول الرسالة المحمدية لجميع الأجناس والأعراق قال تعالى (وما أرسَلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ، ولكنّ أكثرَ النّاس لا يعلمون) سبأ / ٢٨ .

ولقد أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام كتبا إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الاسلام ومن أهمها :

1ـ رسالة هرقل قيصر الروم .

2ـ رسالة النجاشي ملك الحبشة .

3ـ رسالة كسرى ملك الفرس .

4ـ رسالة المقوقص عظيم القبط في مصر .

وقد جمع الرسول علية الصلاة والسلام . الأمة على كلمة التقوى ، وأقام وحدتها على دعائم الود والأخوة والتراحم ومكارم الأخلاق ؛ فربهم واحد ، وكتابهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، ورسولهم واحد ، وهو القدوة والأسوة . ولعل عظمة الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام تتمثل على أتم صورها في كمال أخلاقه ، وثقته بنصر الله فلم يأخذه الزهو أو الغرور عندما كثر أتباعه وفتح الله عليه ودانت له البلاد . وكان يقول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، وهذا يعطي الناس درسا خالدا للتواضع والثقة بالله وترك الزهو والغرور لأنها من باطل الدنيا وغرور السلطان فدائما تكون كلمة الله هى العليا . إن نبل أخلاق النبوة هى التى كانت تحرك مسلك الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهى التى جعلته يعفو عن من ظلموه وأساءو إليه واضطهدوه وسخروا منه وأذوه ، فعندما تمت له الغلبة وتحقق له النصر لم ينسه ذلك نعمة الله عليه وإنما كان يؤكد بالبرهان العملى أنه الرحمة المهداة !! .

لقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم كريم الخصال نبيل الأفعال جليل الشمائل ، جم الفضائل ، مؤدب النفس ، عالى الهمة ، صادق العزيمة ، كامل الخلق ، نقيا تقيا ، أمينا كريما ، فطنا فصيحا ، عذب الحديث ....

إنها أخلاق النبوة يشع خيرها ويفيض نبلها في كل زمان ، وتبدو

موضع إعجاب وتقدير بين كل من يطلع عليها أو يقرأ عنها ، إن شمس النبوة حين تشرق على البشرية لا بد أن تمحو قتام النفوس المظلمة فتغدو مضيئة بالإيمان جياشة بالرحمة .

فاللهم صلى وسلم على أشرف خلقك وخاتم رسلك محمد بن عبد الله الذى أفاض على أهل الأرض من نوره ، وأنقذ البشرية بدعوته الغراء ونور الإسلام الحنيف الذى رفرفت ألويته الخفاقة في جنبات الأرض .

* * * * *

من كل ما تقدم نرى أن الهجرة كانت بداية مرحلة جديدة لإنطلاق الحق ودحر الباطل كما كانت فاتحة لجهاد متصل خاضه المصطفى صلى الله عليه وسلم والمخلصون ممن اهتدى بهدية وآزروا دعوته حتى كان النصر والفتح المبين ، مصداقا لقوله سبحانه : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) سورة النصر .

صلوات ربي وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله لقد جئت بالحق المبين وهديتنا إلى سبيل الرشاد ، نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت لأمتك فكنت خير الناصحين .

معجزات النبي محمد عليه الصلاة والسلام

1ـ من معجزاته عليه السلام ـ إنشقاق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل ، وفلقة دونه.

2ـ أصيبت عين (قتادة) يوم غزوة أحد حتي وقعت على وجنته فردها النبي عليه السلام فكانت أحسن منها قبل !!

3ـ عطش الناس يوم الحديبية ففار الماء من بين أصابعه بدعائه كأمثال

العيون فشرب منه القوم وكانوا الفا وخمسمائة نفر !! .

4ـ نطق الشجر له ـ فقد دنا منه أعرابي فقال لـه الرسـول : مـاذا تريد ؟ وأين تريد ؟ فقال الإعرابي : إلى أهلي . قال الرسول هل لك إلى خير فقال الإعرابي وما هو ؟ فقال الرسول : تشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فقال الأعرابي : ومن يشهد لك علـى مـا تقول ؟ فأشار النبي إلى شجرة بشاطيء الوادى ، فـأقبلت تخـد الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت كما قال عليه السـلام . فنطق الأعرابي بالشهادة !! .

5ـ حنين جذع النخلة وبكاؤه لما فارقه الرسول ؛ لأنه كان يخطب عليـه كمنبر ولما صُنِع للرسول منبر وترك الصعود عليه بكى الجذع حنينـاً وشوقاً إليه سمعه من في المسجد ، ولم يكفَّ عن حنينـه حتـى وضـع الرسول يده عليه !! .

6ـ دعاؤه على كسرى بتمزق ملكه فتمزق .

7ـ دعاؤه لابن عباس بالتفقه في الدين فكان عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة .

8ـ الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصـى إلـى السموات العلا إلى سدرة المنتهى وعودته صلى الله عليـه وسـلم إلـى فراشه ولم يبرد .

9ـ القرآن الكريم وهو معجزته العظمى وآية نبوته الخـالدة ، وصـدق رسالته ، والحجة القائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

خبر البيت العتيق وقصة بناء الكعبة

إن أول بيت وضع للناس في الأرض وضع بمكة ليكون المقصد هـو الله وحده ؛ فمكة قليلة الماء والخصب ، فقصدها إنما يكون لله وحـده .

وإذا كان للبيت فخامته وبهاؤه فللكعبة جلالها باعتبارها قبلة كــل وجــه مسلم ، وقلب مؤمن ، من أى مكان توجه وفي أى بقعة كان ، فإذا وقـف بإزائها وطاف بها كان هو نفسه مشاركا ومستمتعا بالشرف الذي يحويـه المكان الذى إليه تهفو الأفئدة والقلوب .

إن الله تعالى قال للملائكة (إنى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ...) فغضب الله عليهم فطافوا بالعرش سـبعة أيـام يسترضون ربهم فرضى عنهم ، وقال أبنوا لى بيتا في الأرض يتعـوذ به من سخطتُ عليهم من بنى آدم فأرضى عنهم ، فبنى الملائكـة هـذا البيت ، ومن بعدهم آدم وأبناؤه ، ثم إبراهيم وإسماعيل عليهما السـلام . فلما فرغ إبراهيم الخليل من بنائه قال الله سبحانه وتعالى لـه : (وأذن في الناس بالحج) فمنك النداء ومنّي البلاغ !! . ثم أعادت قريش بنـاء الكعبة قبيل الإسلام ، وقد حضر النبي عليه الصلاة والسلام هذا البنـاء حيث وضع الحجر الأسعد بيده الشريفة وذلك قبل البعثة بخمس عشـرة سنة ، ثم أعيد بناؤها بعد ذلك على عهد عبد الله بن الزبير ثم في عـهد بني أمية وهو هذا البناء القائم حتى وقتنا هذا .

وقد وصف الله سبحانه وتعالى البيت بالعتيق وقال عليه السلام أنـزل الحجر الأسعد من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايـا بنـي آدم!! . وقال أيضا: " ... وأشهدوا هذا الحجر خيراً ؛ فإنه يـوم القيامـة شافع يشفع !! له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه !! " .

وما زال الخلفاء ، وملوك الإسلام وأمـراؤه علـى امتـداد الـدول والعصور يعنون بعمارة البيت الحرام ، ويقدسونه ، ويخصونـه بـألوان التكريم ، حتى صار على ما هو عليه الآن ـ زاده الله تشريفا وتكريماً ، وتعظيماً !! .

والكعبة كما ورد في الأخبار الصحيحة تحت العرش يطوف حولها وفـد

الله من الحجاج والعمار ، فيعطيهم ربهم ما سألوا ، ويستجيب لـــهم مـــا دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا .

زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

(1 خديجة بنت خويلد

هي خديجة بنت خويلد بن أسد القرشي أولى زوجاته وكانت تســـمى الطاهرة وهى أرملة سبق لها الزواج ، وكـــانت ذات شـــرف ومـــال ، تزوجها الرسول وعمره خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون ســـنة ، وأحبها الرسول فكانت له الأم ، والأخـــت ، والزوجـــة ، والصديقـــة ، والحبيبة وهى أول من آمن بالرسول من النساء وأنجبت له القاسم وتوفـي وهو صغير ، وعبد الله الذى سماه الرسول الطاهر ، والطيب ، ومـــات قبل أن يكمل رضاعته ، وأنجبت له أربع بنات هن : رقية ، وزينـــب ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وكانت خديجة البلسم الشافى تُهون على الرســـول ما يفعله به زعماء قريش فما كان الرسول يسمع شيئا مما يكرهه مـن رد عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليـــها تثبتـــه عليه وتصدقه وتُهون عليه أمر الناس ؛ لأنها كانت له نصير صدق علـى الإسلام يشكو إليها فتعينه على احتمال الشدائد ، وأقسى ضـــروب الأذى والاضطهاد.

وهى الكريمة الخصال ، ذات الحنان والعطـف ، كريمـــة الســـخاء ، فكانت السند لرسول الله تشد أزره وتعينه في ســـبيل الدعـوة وإظـــهار الحق. وأتى جبريل النبي علية الصلاة والسلام فقال يارسول الله : " هـــذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه طعام فإذا هى أتتك فاقرأ عليها من ربـــها السلام ومنّي ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ــ مـــن أنـــابيب مـــن جوهر ــــ لا صخب فيه ولا نصب !! " رواه البخاري عن أبي هريرة .

وتوفيت بعد البعثة بعشر سنوات ، ودفنت في الحجون أعلـــى مكـة وكان عمرها خمسا وستين سنة ، وحزن عليها الرسول حزنا شـديداً ــ وقال عليه الصلاة والسلام ــ حسبك من نساء العـالمين مريـم ابنـة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمـد ، وآسـية امـرأة فرعون " رواه الترمذى .

2) سودة بنت زمعة

وكان قد توفي زوجها بعد أن أسلم وأراد الرسول أن يتزوجـها بعـد موت خديجة . وأخذ أبوها رأيها فقال لها أتحبين أن أزوجك محمد بـن عبد الله فقالت نعم ، وجاء الرسول وأصدقها أربعمائة درهم ودخل بـها بمكة في رمضان سنة عشر من النبوة ، وكانت راضية كل الرضـا أن تخدم بنات الرسول صلى الله عليه وسلم ورغم أنها كانت ثبطـة ثقيلـة الجسم فكانت طيبة القلب تقترب من السذاجة ولخفة روحها كانت تدخـل السرور على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحجت مـع رسـول الله حجة الوداع ، وتوفيت في خلافة الفاروق أمير المؤمنيـن عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه .

3) السيـدة عائـشـة .

هي بنت أبي بكر الصديق ولدت بمكة ، وأمها أم رومان بنت عـامر ، وكانت الواسطة بين أبي القاسم وأبي بكر امرأة عثمـان بـن مظعـون فوافق الصديق وقال لها قولى لرسول الله فليأت . فجاء أبو القاسم وعقـد على عائشة وأصدقها أربعمائة درهم وكان عمرها تسع سنين وكان ذلـك قبل الهجرة بثلاث سنين ثم هاجر الرسول إلى المدينة وبنى فيها مسـجدا وبجواره حجرات وأسكن عائشة حجرة ملاصقة لمسجده لـها مصـراع واحد ــ كانت غرفة الوحى لكثرة نزول الوحى على النبي فيها ، وأحبـها

وإحتلت في قلب النبي منزلة رفيعة . يقول أنس بن مالك خادم رسول الله : "أول حب في الإسلام كان حب النبي لعائشة " رواه الترمذي . وقبض خاتم الأنبياء وعمره ثلاث وستون سنة وروت عنه عائشة أربعة وسبعين حديثاً ، وتوفيت وعمرها سبع وستون سنة ودفنت في البقيع مع زوجات النبي صلى الله علية وسلم.

4) حفصة بنت عمر.

كانت قبل أن يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم زوجة خنيس بن خذافة السهمى الذى أسلم ، وهاجر معها إلى المدينة وشهدا موقعة بدر ثم أستشهد في موقعة أحد ، فلما رأى عمر ابنته قد أصبحت أرملة عرضها على عثمان بن عفان ثم على أبي بكر فلم يجد الرغبة منهما فتزوجها الرسول عليه السلام . والرسول كان قد طلق حفصة فنزل جبريل عليه السلام وقال للنبي إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر ــ فدخل الرسول على حفصة وقال لها ــ إن جبريل أتاني وقال لي : " أرجع حفصة فإنها صوامة ، قوامة ، وهى زوجتك في الجنة " رواه الطبراني . وأقامت حفصة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عاكفة على العبادة حتى توفيت في عهد معاوية بن أبي سفيان ، ودفنت مع زوجات الرسول في البقيع.

5) زينب بنت خزيمة

وكانت قبل أن يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم زوجة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، ولما علم عبيدة أن محمد بن عمه قد بعثه الله رسولاً نبيا أسلم هو وزوجته وكانا من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وبذلك نالا الاضطهاد والتعذيب من مشركى قريش فهاجرا إلى يثرب ، وكانت زينب تسمى أم المساكين لرحمتها بهم ورقتها معهم ، واستشهد

زوجها في موقعة بدر فخطبها الرسول وتزوجها وجعـــل لـــها حجـــرة بجانب حجرة حفصة ولم تمكث مع الرسول إلا ثمانية أشهر وتوفيـــت ، وكان عمرها ثلاثين سنة فصلى عليها الرسول ودفنها بالبقيع.

(6) أم ســلـمـــة.

واسمها هند بنت أبي أمية وكانت متزوجة من عبد الله بن عبد الأســد المخزومي بن برة بنت عبد المطلب وولدت له مولوداً سماه والده سلمة.

أسلمت هى وزوجها أثناء دعوة الرسول لعبادة الله سراً وهاجرا إلـــى يثرب عندما أمر الرسول أتباعه بالهجرة . ويوم بدر خرج أخٌ له يدعـــى سفيان من صفوف المشركين وكان سيء الخلق ، شديد العـــداوة للنبـــي فقال : لأشربن من حوضهم ! أيْ حوض المسلمين . فأراد أبو سلمة قتله فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشار عليه السلام إلـــى أبـــي سفيان وقال : هذاأول من يعطى كتابه بشماله ويدخل النار ، ونظر نحـــو أبي سلمة وقال : هذا أول من يعطى كتابـــه بيمينـــه ويدخـــل الجنـــة !! وكانت أم سلمة تبادل زوجها الحب والإعزاز ، وهو لها كذلك . وكـــان أبو سلمة يدعو لزوجته قائلا : " اللهم إذا مت ارزق أم سلمة رجلا خـيراً منى لا يحزنها ولا يؤذيها !! " فلما مات تقدم لها أبو بكر فرفضته فـــي رفق وتلاه عمر فرفضته ، وبعث الرسول لأم سلمة خاطبا فقالت مرحبـاً برسول الله ، وقالت لرسوله أخبر رسول الله أنى غيور ، وأني مصبيـــة (أى لى صبية) أيْ ليس أحد من أوليائي شاهدا وأنـــا كبـيرة . فبعـــث الرسول يقول لها : أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عنـــك . وما ما ذكرت من السن فقد أصابنى مثل الذى أصابك ، وأما ما ذكـــرت من العيال فإنما عيالك عيالى.

وعاشت بعد الرسول في عهد أبي بكـــر وعمـــر وتوفيـــت بالمدينـــة

المنورة في ذي القعدة سنة ٥٩ هـ وعمرها أربع وثمانون سنة ودفنت مع زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم في البقيع.

(7 زينب بنت جحش

وهى بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمها أميمة بنت عبد المطلب وأبوها جحش بن رئاب من بني أسد بن خزيمة واسمها بـرة ، وكانت جميلة تعتز بجمالها وقرابتها للنبي صلى الله عليه وسلم .

وكان عند الرسول خادم اسمه زيد بن حارثة ، كان قد أعتقه وتبناه فلع عليه اسمه فكان يدعى : زيد بن محمد . ثم زوَّجه الرسول برة بنت عمته ، ولم تكن برة على وفاق مع زيد بل كانا دائما في خلاف وكثيرا ما شكا زيد للنبي من سوء معاملة زوجته له فكان الرسول يقول له : أمسك عليك زوجك واتق الله ! ثم قال زيد للرسول أفارقها فيرد الرسول ويقول : احبس عليك زوجك ولكن زيدا فاض به الكيل ، ولم يجد سبيلا إلا أن يفارقها وكان هذا الفراق لحكمة يعلمها الله .

وذات ليلة كان النبي جالسا مع عائشة يتحدث فأخذته غشية فلما سُرِّي عنه تبسم وقال : من يذهب إلى بـرة ويبشرها أن الله تعالى زوجنيها في السماء " وأخذ يتلو قول الحق تبارك وتعالى :

(وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشى الناس واللهُ أحقُ أن تخشاه فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهم وطراً وكان أمرُ الله مفعولا) الأحزاب / ٣٧ . فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسماها زينب بدلاً من برة وذاع في مدينة رسول الله أن محمد يحرم بنت الولد وقد تزوج إمرأة ابنه زيد فأنزل الله العلى القدير (ما كان محمدق أبا

أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكـــان الله بكـل شـــيء عليما) الأحزاب /٤٠ . وهذه الآية تدل على أنه لا تبني في الإسلام .
وقالت عائشة في زينب : لم أر إمرأة قط خيراً من زينب فـــي الديـــن ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأرشـــدنا للعمل الذى يتقرب به إلى الله وماتت رضى الله عنها سنة عشرين مـــن الهجرة وكانت أول نساء النبي لحوقا به فصلى عليها عمـــر وضـــرب على قبرها فسطاطا فكان أول فسطاطا ضرب على قبر.

(8 جويرية بنت الحارث

هي برة بنت الحارث بن أبي ضرار ـــ سيد قومه ـــ بن حبيـــب بن خزيمة الخزاعية المصطلقية . وقعت في الأسر يـــوم غـــزوة بنـــي المصطلق ، ولما وزعت الغنائم وقعت برة أسيرة ثـــابت بـــن قيـــس ، وكاتبته على نفسها ، ثم جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تعـوض عليه الأمر ، وتستعين به فقال لها : أن أقض كتابك . وأنا أتزوجـــك . فقالت برة : نعم . وفرحت فرحا شديداً . وقد فعلت وتزوجها الرســـول صلى الله عليه وسلم ، وكان صداقها عتق كل أسير من بني المصطلـق ، وسماها الرسول جويرية ، وذات يوم قـــالت للرســـول : إن أزواجـــك يفخرن عليَّ ويقلن : لم يتزوجك رسول الله . فقال لها النبـــي صلـــى الله عليه وسلم : أولم أعُظم صداقك ؟ أولم أعتق أربعين من قومك ؟ وفـــي يوم مر عليها الرسول وقد صلت الفجر ثم جلست حتى ارتفع الضحـــى فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : ألا أعلمك كلمـــات تقولينـــها ؟ قالت بلى : قال : تقولين :
سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشـه، سبحان الله مداد كلماته !!.

وامتدت حياتها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى سنة ٥٦ هـ إذ توفيت في ربيع الأول من تلك السنة عن عمر يناهز الخامسة والستين ، ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين .

(9صفية بنت حيي بن أخطب .

من سبط هارون بن عمران أخو موسى عليهم السلام كان اسمها زينب تزوجت من كنانة بن الربيع ، ويوم خيبر وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس . وسماها النبي عليه السلام صفية بدلاً من زينب . وكانت زينب وهي عروس لكنانة قد رأت في منامها أن قمراً وقع في حجرها فلما ذكرت رؤياها لزوجها لطمها على وجهها وقال إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب يقصد محمداً عليه السلام ، وكان زوجها يبغض الإسلام ويعكف على شرب الخمر والشرك ، وقد أسلمت صفية وحسن إسلامها فافترقا ولما طهرت من حيضتها تزوجها الرسول بعدما اصطفاها من خيبر وكان عمرها سبعة عشر سنة . ودخل عليها الرسول يوما فوجدها تبكي فقال لها ما يبكيك ؟ قالت : زوجاتك تتلن منّي . وتقلن لي نحن خير منك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا قلت لهن كيف تكن خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ؟! وخرجت مع زوجات الرسول يوم الحج في حجة الوداع ، ولما مرض الرسول مرضه الذي توفي فيه اجتمع نساؤه حوله فقال لهن : سيحفظني فيكن الصابرون أو الصادقون.

وتوفيت صفية سنة ٥٢هـ ودفنت في البقيع مع أمهات المؤمنين.

(10 رملة بنت أبي سفيان.

هاجرت هي وزوجها عبيد الله بن جحش بعدما أسلما إلى الحبشة

كان المهاجرون يعبدون الله مطمئنين إلا زوجها لأن فكرة تجسيد الآلهة تستهويه فخرج من الإسلام ، وحاول أن يرجع رملة عن الإسلام فلم يتمكن ، وكانت قد ولدت مولودة سمتها حبيبة ـ فقالت أم حبيبة لزوجها والله إن الذي فعلت ليس خيراً لك !! قال تعالى (قد جاءكُمْ بصائِرُ من ربكُم فمن أبْصر فلنفسه ومن عمي فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ) الأنعام / ١٠٤ .

وأكب زوجها على الخمر يشربها فكان الفراق بينهما ، واعتكفت أم حبيبة في دارها تقرأ القرآن ، وتجتهد في العبادة ، وتقوم الليل تناجي الله، وتشكو إليه حالها وهو بها أعلم . وفي ذات ليلة رأتَ في منامها آتيا يقول لها : (ياأم المؤمنين) وأخذت تفكر في رؤياها ؛ لأنها لن تكون أمًّا للمؤمنين إلا إذا تزوجت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها إذا رجعت مكة فسوف يعذبها أبوها أبو سفيان ، وربما قتلها ، وهى التي قد أعلنت أن حبها لرسول الله ودينه يفوق حبها لأهلها وعشيرتها ، وتحققت رؤياها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ملك الحبشة ليخطب أم حبيبة فأصدقها النجاشي عن رسول الله أربعمائة درهم وبعث بها لرسول الله فتزوجها سنة سبع من الهجرة ، وكان أبوها يقول لها لقد أصابك شرٌ فترد بثقة وإيمان : الله هداني للإسلام والإيمان بالواحد الأحد، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر !! وأنت سيد قريش وكبيرها . وروى عنها خادمها سالم بن سوار ، وأبو الجراح ، عمرو بن الزبير وتوفيت رملة سنة أربع وأربعين من الهجرة ودفنت مع زوجات الرسول في البقيع.

(11 ميمونة بنت الحارث.

وأسمها برة بنت الحارث . وزوجها أبو رهم بن عبد العزّى . توفي

زوجها وأصبحت أرملة . وهى أخت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ، وأسماء زوج جعفر بن أبي طالب . وأمها هند بنت عوف ، ولما قدم الرسول لأم القرى عام عمرة القضاء ذهب إلى الأبطح وجلس في قبته ليستريح ، فجاءه عمه العباس ابن عبد المطلب وزوج أختها وعرض عليه الزواج من برة بنت الحارث فوافق وبعث ابن عمه جعفر بن أبي طالب زوج أختها ليخطبها ، ومن شدة سرور برة ركبت بعيرها وانطلقت إلى الأبطح حيث قبة رسول الله وقالت للنبي البعير وما عليه لله ولرسوله ، وكان ما فعلته فرصة للمنافقين للتقول عليها فنزل قوله تعالى : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبيُّ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) الأحزاب / ٥٠ .

وتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام فكانت آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماها ميمونة ، واستمرت ميمونة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام تعبد الله وتقرأ القرآن وأرادت أن تحج وأخذت معها ابن أختها عبد الله بن العباس ، وبعد أن أدت مناسك الحج وافتها المنية ، ودفنت هناك سنة ٦١هـ في عهد معاوية بن أبي سفيان.

أسباب تعدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن عرّفنا بكل من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين نجد أن زواجه منهن لم يكن لغرض الشهوة ، ولكن كان زواجه منهن لغرض دينى أو سياسي أو إجتماعى ، وهو المعصوم منذ شبابه من الاندماج في اللهو وعن ملذات الجاهلية وحماقاتها ـ فكان زواجه منهن لتهفو القلوب لدين الله وعبادة الواحد الأحد ، الذي قام بالدعوة له محمد عليه السلام هذا الدين الذى يدعو للوقوف بجانب الأرملة الذى توفي زوجها سواء شهيداً أو غير شهيد ، والذي يدعو إلى

مراعاة اليتيم الذي مات أبوه وكفالته ، والذي يدعـــو للحريـــة وعتـــق الأسير والرقيق ولا عبودية فيه ، وأيضا تشجيع من دخلن فـــي الديـــن برغبة وحب

كل هذه الأسباب السامية الرفيعة كانت أهداف النبي محمـــــد عليـــه السلام في زواجه من أمهات المؤمنين عليهن أفضل الســـــلام ـ اللـــهم صلى وسلم على أشرف خلق الله أجمعين اللهم صلى وسلم علــــى مـــن هدانا لطريق الحق والنور ، اللهم صلى وسلم علــــى الرحمـــة المـــهداة للعالمين ، اللهم صلى وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين النبي محمـــــد أفضل الصلاة وأزكى السلام .

الإيمان بالغـــيـــبـــيّات

مما أمر المسلمون بالإيمان به من الغيبيات : اليوم الآخر وما فيه مـــن البعث والنشور ، والموقف ، والحساب ، والجنة ، والنار . ويوم القيامـــة يوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين . وقد أوصانا المولى عز وجـــل بالعمل الذي ينفعنا وينجينا من هول ذلك اليوم قال تعالى :

(واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) الـــبـــقـــرة / ٤٨ .

وفي يوم القيامة من المواقف والأهوال ما تنخلع به القلـــوب وتـــتزلز الجوانح ، إذ تضطرب الأرض ، وتنفض ما في جوفها من الموتى مـــن الأولين والآخرين وتبدل الأرض غير الأرض والســـموات ، ويكـــون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن (الصوف) المنفـــوش ، فـــيرى الإنسان ما لم يعهد ، وهو مشدود مأخوذ يلهث فزعا ورعبـــا ، ودهشة وعجبا وإضطرابا ، ويواجه الخلق بمشـــهد الحشـــر والحســـاب والوزن والجزاء ، وبرزوا لله الواحد القهار .

يأتى الناس أشتاتا من أرجاء الأرض كأنـــهم جـــراد منتشـــر لـــيروا

أعمالهم ويعاينوا جزاءها ، ومواجهة الإنسان لنتيجة عمله هي أقسى من كل جزاء ! إنها عقوبة هائلة رهيبة لمجرد أن يرى الناس ما عملـــوا ، وما أخفوه عن بعضهم البعض في الدنيا ، ولا يستطيعون لـــها دفعـا أو إنكارا ، في موقف عصيب يكون الحساب فيه دقيقا حاسما لا يدع ممـــا عمل العبد صغيرة ولا كبيرة إلا نشرها وأحصاها !! .

قال تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كـل نفـس مـا كسبت وهم لا يظلمون) البقــرة / ٢٨١ .

وتشهد الأرض على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها ويصير النـاس فريقين ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ففريق الجنة يـأخذ كتابـه بيمينه ، وفريق السعير يأخذ كتابه بشماله ، ويكون الناس ما بين شـقى مأمور به إلى النار وسعيد مأمور به إلى الجنة ، وصـــدق الله : (فمـن يعمل مثقال ذرة خيراً يرى ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره) الزلــزلة / ٧،٨ . ويقول سبحانه : (ينبؤ الإنسان يومئذ بما قـــدَّم وأخَّــر) الـقـيامة / ١٣ .

وهو يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، يـوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . يقول عز وجل :

(لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) المـمـتحـنـة / ٣ . وهذا اليوم لا تستطيع لغة البشر أن تعبر عن أهواله وشدائده ؛ حيث يُـبـعَـث الخلائـق أفواجـا ، فزعيـن مروعين مسرعين إلى حيث يساقون للحشر ، وهم بين مستبشر فـرح ، وواجم مضطرب . قال تعالى :

(وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غـبرة * ترهقها قترة) عـبـس / ٣٨،٤١ .

في هذا اليوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنـت

ترابا قال تعالى : (إن الساعة أتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) طـه /١٥ .

والله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثا ولن يتركوا سدى ، وهو سبحانه الذي قدر حياتهم ذلك التقدير ، ونسقها مع الكون الذي يعيشون فيه فلا يمكن أن يدعهم يعيشون سدى ، ويموتون هملا ، يصلحون في الأرض أو يفسدون ، يهتدون في الحياة أو يضلون ثم يذهبون في التراب ضياعا !! .

إن هناك يوما للحكم والفرقان والفصل في كل ما كان ، وهو اليوم المرسوم الموعود ، الموقوت بأجل عند الله معلوم محدود ، وهو يومٌ ينقلب فيه نظام هذا الكون ، وينفرط فيه عقد هذا النظام : ففيه مشهد النعيم وهو يتدفق تدفقا (إن للمتقين مفازا) وفيه مشهد العذاب بكل قوته وعنفه : (إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا) وهم الذين لايحسبون لهذا اليوم العصيب حسابا في دنياهم .

فعلى كل مسلم أن يتذكر دائما الآخرة وأن كل ما حوله فان وموعد الآخرة لابد منه والحساب والجزاء والعقاب لا بد منه ، فيعمل ما ينفعه من الأعمال الصالحات ، وتأدية حقوق الله وما فرض عليه ابتغاء وجه الله ومرضاته ــ فالإنسان بعد موته لا ينفعه إلا ما قدمت يداه ، وما عمله في دنياه من خير ؛ لأنه يترك ماله وجاهه وسلطانه وأولاده ، ولا يحصد إلا ما زرعه في دنياه وهو عند الله باق !! .

ولكي ينجو العبد مما يرهب يوم القيامة ، ويظفر بما يحب ويرغب عليه أن يحاسب نفسه في الدنيا على تفريطها ، ويلومها على تقصيرها ، وينهاها عن الهوى ؛ استعدادا ومهادا للآخرة ، وموقف يوم القيامة العصيب . فواجب العبد أن يقرأ القرآن ، ويتأمل فيه ، ويتعظ به، ويتدبر معانيه ، ويأخذ منه العبرة لنفسه ، ولاسيما سورة هود ، وسورة

ق ، وسورة الواقعة ، وسورة المرسلات ، وسورة النبأ ، وسورة التكوير ، وسورة الغاشية ، وسورة الزلزلة ، وسورة القارعة .

والقرآن كله كلام العليّ القدير ، وكله يطمئن القلب ، ويشرح الصدر والاستعداد لهذا اليوم وهذا الموقف العصيب يكون بالطاعة ، والإنابة والرجوع إلى الله رب العالمين ، ومراقبته في كل أمر من الأمور لأن هذه المراقبة توقظ في المسلم ضميره ، ويحيا بها فؤاده ، ويكون دائما على ذكر من ربه ، والقلوب إذا عمرت بالإيمان حفظ الله صاحبها من الزلل والوقوع في معصية الله أو التفريط في حق من حقوقه ، فتعمر الحياة وترفرف ألوية الحب والسلام ويعمل العبد ما ينفعه في أخراه . كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله .

وعلى العبد أن يلتزم بالتواضع والسكينة ليكون قدوة صالحة بين الناس فلا إستعلاء على الخلق ولا كبرياء . وعليه أن يلجأ إلى العفو والصفح . وأن يداوم على العبادة حتى يظل قريبا من ربه . وأن يستشعر دائما الخوف والرهبة والخشية من الله ، وأن يأخذ من هذه الخشية طريقا إلى العدل بين الناس فلا يظلم ولا يعين على الظلم . وعليه أن يلتزم (الوسطية) في حياته فلا يكون مسرفا ولا يكون بخيلا. وألا يكون الإنسان في الحياة قصير النظر ضيق الأفق ، يعيش لنفسه فحسب بل عليه أن تتسع نظراته إلى الناس من حوله : أيها السائرون المخمورون . اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون .أيها المخدوعوم بماأنتم فيه ، إنكم تاركون ما تتكاثرون به وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر – استيقظوا وأنظروا إن هذا كله فان ، فلتشغلوا القلوب بطاعة الله والعمل لهذا اليوم العصيب ، وترك مغريات الحياة الدنيا وإهتماماتها الزائلة التي

يهرع لها الفارغون. ذلك اليوم الحق المقدر بحكمة وتدبير لا بد منه والفرصة ما تزال سانحة فمن شاء إتخذ إلى ربه مآبا قبل أن تكون جهنم مرصادا .

والعلاقة الوحيدة الصحيحة بين الناس ورب الناس هى إسلام الوجه له سبحانه ، وإحسان الاستمداد منه ، والاعتماد عليه ، واعتبار الدنيا مهاداً للآخرة ، والصورة الإيمانية واضحة ليس فيها مشكلات ولا محيرات ، ولا طلاسم ولا طقوس . تعتمد على حقائق الكون والحياة فيرى المسلم في ضوء هذا المعنى ربه في كل شيء وهو مؤمن بالآخرة، موقن بيوم الجزاء والحساب.

الجَنَّة

وهي دار كرامة أولياء الله ، ومنزل الأبرار منهم وبستان غرسه الله، ونعيم أعده الله لمن أطاعه ، ونعيمها يعظم على الوصف ، ويقصر دونه الضبط والحصر !! . أعدها ربنا وأوجدها داراً للمتقين المؤمنين الذين عملوا الصالحات السابقين إلى الخيرات ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم ، والجنة مراتب ودرجات ، بل جنان ، منها جنة عدن التي لا نستطيع أن نتصورها وإن سبحنا إلى آفاق الخيال !! وهي كما ورد في الأثر : لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، وملاطها المسك ، وحشيشها الزعفران ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وترابها العنبر ، وعندما قيل لها انطقي قالت : (قد أفلح المؤمنون) !! .

والجنة دار القرار رضوان خازنها، والرحمن بانيها والجار أحمد صلى الله عليه وسلم، وقصورها من ذهب!! قال عليه الصلاة والسلام: "إن في الجنة شجرة يسير راكب الجواد المضمر السريع مائة سنة

ما يقطعها ".

وسبيل الجنة هو العمل الصالح وهو كل عمل يرضى الله ، وكل قول يرضى الله ، وكل سلوك يرضى الله فهو سبحانه يربط بين الإيمان والعمل الصالح . قال تعالى : (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نُزلاً بما كانوا يعملون) السجدة / ١٩.

وإذا أخذنا بقوانين الله لا يأتينا إلا الخير لأن الله سبحانه وتعالى بين لنا الطريق مع بداية الحياة ، ولم يترك الإنسان منذ اللحظة الأولى من الحياة بل هداه لما يعبد به الله ، ويتقرب به منه . قال تعالى : (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) القلم /٣٤ .

ومهمة الدين ضبط حركة النفس وتهذيب شهواتها ؛ فالإنسان الذى تزود بالتقوى والإيمان بالله وملائكته ورسله ، وكتبه ، واليوم الآخر ومخافة الله وخشيته في كل أعماله ـــ هو المنقّذ لقوانين الله فهو يفوز برضاء الله . قال تعالى : (فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون) السجدة / ١٧ .

فالأعمال الصالحة ، وتأدية ما فُرض على الإنسان من عبادات وسلوكيات والشعور دائما بأن الله رقيب على عبده عليم بما يخفيه مُطلع على أعماله ، ومؤمن بأن الدنيا دار زوال والآخرة هى دار البقاء يرضى عنه وينال الثواب في الآخرة وهذا أعظم نعيم ـ قال تعالى : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) الشورى /٢٠ .

وقال النبي عليه السلام " أطعموا الطعام وأفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام " .

وأول من يفتح باب الجنة يوم القيامة محمد صلى الله عليه وسلم . وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " آتي يوم القيامة فأستفتح الجنة فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد .

فيقول الخازن : بك أمرت أن لا أفتح لأحـــد قبلك !! .

والذين يعملون الصالحات ، ويجتنبون المعاصي ، ويحافظون علـــى الصلوات الخمس ويؤدون العبادات المفروضة من زكاة وصيام وحــج إن استطاعوا ، ويتقربون إلى الله بالنوافل ، وماتوا على التوبـــة فجزاؤهـم الجنة ، والمغفرة والرحمة والرضوان . قال تعالى : (وأما الذين سُـعِدُا ففي الجنة خالدين فيها) هـــود ١٠٨ . وقال أيضـــا : (إن الذيـن آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزلا) الكـهـــف / ١٠٧ .

والجنة فيها نعيم مادي ملموس ونعيم نفسي محسوس فالفائزون بـــها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيـــها حريـــر ، وذلـك بعض المتاع ذى المظهر المادى أما النعيم النفسى فمحســـوس للنفـوس المؤمنة ذلك الرضا وذلك الأمن ، وذلك الاطمئنـــان . لا يمســهم فيـــها نصب ولا يمسنهم فيها لغـوب !! بـــل يجتمــع فيــها النعيــم والراحـــة والاطمئنان ، والفائزون بها هـــم المؤمنـــون الحـــامدون ، الشـــاكرون الصابرون المتوكلون السابقون إلى الخيرات ؛ فقـــد خلقنـــا الله وكلفنـــا ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات ، وأنزل لذلك كتبا وبعـــث رســـلا للهداية وطريق الحق والنور ، وما من جهد يذهب هدرا . حاشا لله فـــهو القائل : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلَنَا وإن الله لمـــع المحســـنين) العنكبوت /٦٩ .

والجنة دار السلامة والكرامة والنوال ، وعيشها هنيء ـــ دار صفوها بلا كدر لا نوم فيها ولا ضجر ، ولا قيل فيها ولا قال ، أنهارها جاريـــة، وقصورها ذهب وثمارها دانية ، ونعيمها لم يخطر على بـــال أهلـــها ، من مروج الصندل يضحكون وفي رياض العنبر يتبخـــترون ، إخوانـــا على أرائك الياقوت !!

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم بوصف ما في الجنة من نعيم مقيم للفائزين بها منها قوله عز وجل : (والسابقون السَّبِقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين ، وقليلٌ من الآخرين على سُرُرٍ موضُونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مُخلدون بأكواب وأباريق وكأس من مَّعين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما تخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وحورٌ عينٌ كأمثلِ اللؤلؤِ المكنون جزاءً بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) الواقعة / ١٠ ـ ٢٦ .

ويقول سبحانه : (إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار يُحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نِعم الثواب وحسنت مُرتفقا) الكهف / ٣٠ ، ٣١ .

وفي سورة محمد الآية ١٥ قال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهارٌ من ماء غير آسنٍ وأنهارٌ من لبن لم يتغير طعمُه ، وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين ، وأنهارٌ من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومغفرة من ربهم)

وفي سورة الحاقة من الآية ١٨ إلى الآية ٢٤

قال تعالى (فأما من أتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم إقرءوا كِتابي إني ظننتُ أني ملاقٍ حِسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية ، قُطوفُها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) .

وفي سورة الإنسان من الآية ١٢ إلى الآية ٢٢ قال تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظِلالها وذُللت قُطوفها تذليلا ، ويطاف

عليهم بآنية من فضة ، وأكوابٍ كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ، ويُسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا، ويطوف عليهم ولدانٌ مُخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثيابُ سُندس خُضرٌ وإستبرق ، وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا . إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيُكم مشكورا) .

وفي سورة النبأ من الآية ٣١ إلى الآية ٣٦ قال تعالى : (إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا وكأسا دِهاقا . لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاءً حسابا)

وفي سورة المطففين من الآية ٢١ إلى الآية ٢٨ يقول عز من قائل : (إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجُه من تسنيم عينا يشرب بها المُقربون) .

وفي سورة الغاشية من الآية ٨ إلى الآية ١٥ قال تعالى : (وجوهٌ يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سُرُر مرفوعة وأكوابٌ موضُوعة ، ونمارقُ مصفوفة ، وزرابيُّ مبثوثة) .

إن ذلك الوصف المعجز لما في الجنة من نعيم وما فيها من سرور ومن متاع مادى ومعنوى جدير بأن يشوق العباد لطاعة الله والعمل لمرضاته سعيا لبلوغ رضوانه والفوز بجناته ، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يقهر العباد على الهدى لو كان يريد ولكنه سبحانه يكرمهم فيدعوهم ليستجيبوا عن طواعية فينالوا عليها الأجر ، وعن إرادة تعلو بها إنسانيتهم ، وترتفع إلى مستوى الأمانة التى ناطها الله بالإنسان ، أمانة الهداية المختارة ، وأمانة الإرادة المتصرفة عن قصد ومعرفة،

وقلوب العباد بين يديه سبحانه وتعالى ، وهم سوف يحشرون إليه فما لهم من مفر لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولهذا يجب التطلع إلى ما عند الله من الأجر العظيم المدَّخر لعباده الأمناء على أماناته الصابرين المؤثرين المضحين المتقين .

والمسلم المؤمن يكافح الشر والفساد والظلم محتملا الأذى والتضحية حتى الشهادة ، وهو إنما يقدم لنفسه في الآخرة ، إنه يعلم من دينه أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن ليس هناك طريق للآخرة لايمر بالدنيا ، وأن الدنيا صغيرة زهيدة ولكنها من نعم الله التى يجتاز منها إلى نعمة الله الكبرى ؛ ولذلك لا تستقيم الحياة بدون يقين بالآخرة ، وفضل الله الذى لا خازن لخزائنه ولا حاسب لعطاياه على المسلم المؤمن ذي الانقياد لأمر الله طاعة له ، واتباعا لمنهجه ، واحتكاماً إلى كتابه واعتصاما بحبله ونهجه ودينه فيفوز برضا الله وبجنته ذات النعيم المقيم قال تعالى : (ونودُوا أن تلكمُ الجنة أورثتموها بما كُنتم تعملون) الأعراف / ٤٣ .

والطريق إلى الجنة يمكن إجماله بين أربع كلمات إثنتان سالبتان وإثنتان موجبتان ، فالسالبتان : الشرك ، والمعاصي ، والموجبتان : الإيمان ، والعمل الصالح .

ومن هذه الكلمات الأربع يتكون الطريق القاصد إلى الجنة دار الإقامة والكرامة ، فالكلمتان الموجبتان تشير الأولى (لا إله إلا الله) والثانية (أن محمدا رسول الله) الخاص ببيان كيف يُعبد الله وحده في هذه الأكوان ، وأنه لا يتأتى لأحد أن يعبد الله بدون إرشاده صلى الله عليه وسلم وبيانه .

فلنسلك الطريق مسترشدين بإشارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولنعتقد جازمين أن خالقنا هو الذي خلق هذه العوالم ودبرها بقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته ، وفيها تجلت صفاته العليا ، وأسماؤه الحسنى،

وبعلمه سبحانه وتعالى اتحد وجودها ، وانتظم شأنها ، وسارت إلى غاياتها في نظام محكم بديع .

ولنعتقد جازمين أنه لا وجود لمشارك لله في خلق هذه العوالم ولا مدبرلها سواه ؛ إذ لو كان ذلك لظهر في العوالم التضارب والتناقض ، ولأسرع إليها الفناء والزوال قال تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسُبحان الله رب العرش عما يصفون) الأنبياء /٢٢ .

ولنعتقد جازمين أن حاجة الناس إلى الرسل في بيان الطريق إلى الجنة اقتضت إرسالهم وإنزال الكتب عليهم ، من هنا وجب تصديق الرسل والإيمان بالكتب والملائكة ، والقدر ، والمعاد ، والحساب ، والجزاء ، وهذا هو الإيمان قال تعالى (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب مُنيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) سورة ق ٣٢ ــ ٣٥ .

وفي الجنة أيضا نعيم عظيم وهو رضا الله ، فقد ذكر تبارك وتعالى ما أعده لأوليائه وأهل وفادته من النعيم المقيم في جنات عدن ، ثم قال بعد ذلك (... ورضوان من الله أكبر) التوبة /٧٢ . ورضاه سبحانه وتعالى على عباده هو أكبر نعيم يلقونه في دار الإكرام ، وهذا الإمام البخاري يروي عن رسول الله صلى الله عيه وسلم قوله : " إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ــ يا أهل الجنة ؟ فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير بيديك !! فيقول رب العزة : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ياربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً قط من خلقك . فيقول رب العزة : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : أي شيء أفضل من ذلك ؟! فيقول سبحانه وتعالى : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً "

والله سبحانه وتعالى يزور أهل الجنة وما أشهى على النفس وأحب

لها من تلك الزيارة !! عن على رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : إذا سكن أهل الجنة أتاهم ملك فيقول لهم أن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله سبحانه وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد . قالوا يارسول الله : وما مائدة الخلد ؟! . قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون . فيقولون لم يبق إلا النظر في وجه ربنا فيتجلى لهم فيخروا سجدا . فيقال لهم لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء !! .

وقال أيضا وتحية أهل الجنة (سلام عليكم)

بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور فرفعوا رؤسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ـ فقال سلام عليكم يأهل الجنة وهو قول الله تعالى في سورة يس (سلام قولا من رب رحيم) فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من نعيم ما داموا ينظرون إليه سبحانه حتى يحتجب عنهم ربهم وتبقى فيهم بركته ونوره . قال تعالى : (فأما الذين آمنوا وعملوا الصلحات فهم في روضة يحبرون) الروم/١٥.

فيا أيها السائرون دونكم الجنة دار السلام فتهيأوا للدخول منتظرين رسل ربكم المنعم الكريم وذلك بطاعته واتباع المنهج وسنة رسوله ويومها يفرح المتقون الحامدون الشاكرون ـ قال تعالى : (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) فصلت /٤٦.

دعاء ورجاء

الله لا إله إلا هو الحى القيوم . الطاهر المطهر . نور السموات والأرض . لا إله إلا هو . واحد أحد . فرد صمد . ليس له شريك ولا صاحبة ولا ولد . ذو الملك والملكوت . القيوم على خلقه أجمعين . قال

تعالى (قُل هُو الله أحد ألله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفوا أحـد) سورة الإخلاص.

سبحانه سبحانه . هو المتصف بالكمالات كلها . المنزه عن كل عيب ونقص لا يماثله شيء من المخلوقات في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولا في أسمائه ؛ فأسمائه كلها حسنى !! قال تعالى :
) ولله الأسماء الحسنى فادعُوهُ بها) الأعراف / ١٨ . وصفاته صفات كمال وعظمة ، وأفعاله أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك . فليس كمثله شئ . المستحق لأن يُفرد بالعبادة ، والذل والخضوع !! وهو حق ، ووعده حق ، ولقاؤه حق ، وهو العدل ، وهو العليم الخبير ، وهو الغفور الرحيم . فالق الحب والنوى ، وفالق الإصباح .

* * * * *

سبحانه سبحانه. هو المتصرف . الحاكم . المدبر . المسخر . وهو على ما يشاء قدير . نعم المعبود . نعم المذكور . نعم المشكور . نعم الوهّاب ، نعم المسئول . نعم العين . نعم المجيب . سبحانه سبحانه الملك القدوس . السلام المؤمن . المهيمن العزيز الجبار المتكبر . اللطيف الخبير له ملك السموات والأرض وإليه المرجع وإليه المصير !! قال تعالى :
(وتبارك الذي له مُلكُ السَّموات والأرض وما بينهما وعندهُ عِلمُ السَاعةِ وإليه تُرجعُون) الزخرف / ٨٥ . سبحانه سبحانه لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا تغيره الحوادث والدهور ، ذو الجبروت والعظمة والكبرياء . قال تعالى :
(وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) الجاثية /٣٧.
بيده مقادير كل شئ ، وكتابة ما كان وما سيكون باللوح المحفوظ ـ فقدرته لا يعجزها شئ ـ وهو الفعال لما يريد ، وجميع الحوادث واقعة

بمشيئته وقدرته وهو العليم الحكيم ــ قال تعالى : (وما تشاءُون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) الإنسان ٣٠ .

* * * * *

الله جل وعلا واحد بلا شريك ، لا تضاد في حكمه ، ولا تنازع في ملكه ذو الحكمة والبيان ، ذو الحجة والبرهان ، ذو العظمة والسلطان ، ذو العفو والغفران ، عالم الغيب والشهادة ــ ذو الجلال والإكرام ، لا شيء عنده محال ، خالق كل شيء ، وأمره كن فيكون !! قال تعالى : (بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) البقرة / ١١٧ . سبحانه سبحانه . نعم الحسيب ، ونعم الوكيل ، ونعم المعين ، ونعم الرقيب ، ونعم المجيب ، رب كل شئ ومليكه ، وخالق كل شيء ومُوجده . قال تعالى : (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) الفرقان / ٢ .

سبحانه سجد له سواد الليل ، وسجد له ضوء النهار ، وسجد له شعاع الشمس ، وهديرالمياه ، وحفيف الشجر ، وكل دابة في الأرض والسموات . قال تعالى : (ولله يسجد ما في السموات والأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) النحل /٤٩ . هو مبعث سرور العارفين ، وهو رازق المقلين ، وهو راحم المساكين ، وهو رجاء المذنبين ، ومنفس الكرب عن المكروبين ، ومفرج حزن المحزونين !! .

* * * * *

سبحانه هو المتكبر . الحميد . المجيد . المهيمن . السلام . العزيز . القاهر اللطيف . سامع كل صوت . وباعث النفوس بعد الموت . سبحانه لا تشتبه عليه الأصوات ، عظيم الشأن ، واضح البرهان ، فالق الحب والنوى ، ومنشيء الأجساد بعد البلى ، رب الأرباب ، ومسبب الأسباب، الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، المحيي المميت ، وهو على كل شئ

قدير . قال تعالى : (له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير) الحديد / ٢ .

عليم بالسرائر الخفية ، وما تكنه النفس البشرية من خير أو شر فهو سبحانه وتعالى يعلمه ، وهو المنفرد بعلم المغيبات والأسرار ، وهو الرب المعبود لا شريك له ، وليس كمثله شيء . قال تعالى : (وإن تُبدوا ما في أنفسكُم أو تُخفوه يحاسبكم به الله) البقرة / ٢٨٤ .

يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد قطر الأمطار ، وما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار . يقول سبحانه: (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شُكوراً) الفرقان / ٦٢ .

* * * * *

ذو العرش المجيد ـ المبديء المعيد . الفعال لما يريد . الغنى المغني. الحكم العدل . الذى عم عدله كل البشر . العزيز الحكيم . الخبير البصير . المنتقم الجبار شديد العقاب . الرءوف الرحيم . الغفور الودود . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . محيط بعمل العبد ، وبسره وجهره كفيل المؤمنين بتأييده. مقسم الأرزاق . يجزل العطاء ، ويمن بفضله على من يشاء من عباده. المعطي الوهاب ـ الرازق ولا رازق سواه ، المانح ولا مانح غيره. المحيط بكل شيء علما ـ الذي يُطعِم ولا يُطعَم . وهو سبحانه القائل وقوله الحق : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات / ٥٨ .

ليس له حاجب ينادى ، ولا صاحب يخشى ، ولا وزير يؤتى ، ولا غيره رب يدعى ، يُسكن رعب الخائفين وأهل البلية ، ويُقبل بفضله وأمنه على كل نفس زكية ، والحوائج عنده مقضية !! .

* * * * *

الخالق الباريء المصور ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، النافذ أمره في أرضه وسمائه ، خلق الخلق بقدرته ، وأعزهم بهدايته ، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

رب الجنة والنار ، رب النبيين والأخيار ، رب الصديقين والأبرار ، الملك الحق ، قيوم بنفسه ، مقيم لكل من سواه ، غنيٌ عن كل من سواه، وكل من سواه فقير إليه ، لا تزيده كثرة الحاجات إلا جوداً وكرماً ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ، بذكره تطمن القلوب ، وتتشرح الصدور . سبحانه قال وقوله الحق : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد / ٢٨ .

يعلم مراد المريدين ، وما بضمير المضمرين ، الحي الذي لا يشبهه حيّ !! ولا يحتاج إلى حي !! ويميت كل حي !! يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وإليه النشور !! .

* * * * *

سبحانه سبحانه . أولٌ بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء ، وأمره بالكاف والنون ذو القوة المتين ، الزكي الطاهر المطهر المبارك ، الحنان المنان ، القدوس الحى الذي لا يموت ، بديع السموات والأرض ، ونورهن وقيومهن ، عالم الغيب والشهادة ، ذو العزة والجلال والعظمة (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) التغابن / ١٨ .

بيده ملكوت كل شيء ، المنعم المعز المذل المعطى الوهاب المحيط بكل شيء علما ، القائم على كل نفس بما كسبت ، قال تعالى : (إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور) فاطر / ٣٨ . لا تحصى العباد نعماءه ولا تبلغ الخلائق شكره ، لاتدرك الأفهام جلاله ، ولا تنال الأوهام كنهه . جعل الظلمات والنور ، والسماء بقدرته مبنية ،

والأرض بقدرته مدحية ، والشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئـة ــ قال تعالى : (وهو الذى خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر كل فـي فلك يسبحون) الأنبياء / ٣٣ .

* * * * *

سبحانه سبحانه !! القادر المقتدر . الحميد المجيد . الحفيـظ المـانع القويّ فهو الذى يغفر ذنبا ، ويفك أسيراً ، ويفرج كربا ، وينصر ضعيفـا ويجبر كسيرا ، ويغنى فقيراً !! ويسـعد ويشـقي . ويضـل ويـهدي ، صاحب كل غريب ، وأنيس كل وحيد ، وشافي كل مريض ، ومغيـث كل مستغيث . ذو العظمة والهيبة والسلطان والكمـال الأزلـى القديـم الأبديّ . الباقى بلا انتقال ــ والمقدس عن الشبيه والنظير الغـالب فـي حكمه بلا نزاع ولا جدال . القدير الذى قدر الأرزاق والآجال . المتفـرد بالخلق والتدبير . مقدر الآجال . المالك لكل ما في هذا الكون ، المتفـرد بالسيادة والأمر والنهي . الحكيم في شرعه وفي قدره . لا يخلـق شـيئا عبثا . ولا يترك خلقه سدى ، خلق عباده حنفاء ، والحنيف هـو المـائل إليه المعرض عن غيره ، وهم بفطرتهم يميلون إليه ، ويشتاقون إليـه ، ولا يقر لهم قرار إلا بمعرفته وتوحيده ومحبته وطاعته . ومن رحمـهم الله يجعل غاية حياتهم ووجودهم في إفراده وحده بالعبادة .

* * * * *

بالبر معروف وبالإحسان موصوف ، لا تدركـه الأبصـار ، وهـو يدرك الأبصار . مالك يوم الدين ، سبوح قدوس . امتلأ الكون بـأنواره ، وأسراره ، وهباته . قـال تعـالى : (يريـدون أن يُطفئـوا نـور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يُتم نُوره ولو كره الكافرون) التوبـة / ٣٢ . ولىّ حميد . جواد مجيد . كاشف الكربات ، وباسط الخيرات ــ غفـور رحيم، وسعت رحمته كل شيء . قال تعالى : (قـل يا عبـادي الذيـن

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعـا إنه هو الغفور الرحيم) الـزمر / ٥٣ . منقذ الغرقى ، ومنجي الهلكى، وسامع كل نجوى ، ورافع كل بلوى ، ومجيب كل دعاء : (وإذا سـألك عبادى عنى فإني قريب أجيبُ دعوة الداع إذا دعان) البقرة / ١٨٦ .

* * * * *

يا من تجيب دعا المضطر في الظلم   ياكاشف الضر والبلوى مع السقم

هب لى بجودك ما أخطأت من جرم   يـا مـن إليه أشـار الخلـق بالكرم

إن كان عفـوك لم يسبق لمجترم   فمن يجـود على العاصـين بالنعم

سبحانك سبحانك لقد نجيت نوحا من الغرق ، وغفرت لداود ذنبـه ، وكشفت الضر عن أيوب وصرفت عن يوسـف السـوء والفحشـاء ، وجعلت النار على إبراهيم بردا وسلاما !! لا إله إلا أنت سبحانك فـأنت على كل شئ قدير . هديت أهل طاعتك إلى صراطك المستقيم ، ومنحت أهل محبتك جنات النعيم .

وأنت المتصرف فقد قلت وقولك حق : (قل كلٌ من عند الله) النسـاء / ٧٨ .

وأنت المنعم مصداقا لقولك : (وما بكم من نعمة فمن الله) النحل / ٥٣.

وأنت المجير ولا يجار عليك !! .

* * * * *

سبحانك ! وعدك صدق ، وعذابك عدل ، وأنت خير المقصوديـن ، وخير المسئولين ، وخير الموصوفين . وأنت الذي خلق فسوى . وقـدر فهدى ، كل شيء موجود به ، وكل شئ هالك إلا وجهـه . فـي قربـه لطيف ، وفي مجده حميد ، وفي عزه عظيم . له الآخرة والأولى . لـه جنة المأوى . قال تعالى : (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا مـا توعدون لكل أواب حفيظ) سورة ق / ٣١، ٣٢ .

سبحانه ذو الفضل والكرم ، ذو العرش المجيد ، العظمة بهاؤه ، والكبرياء رداؤه ، لا يغيب عن قلوب العارفين ، يعلم حوائج السائلين ، ويسمع أنين الواهنين حسن التجاوز ، واسع المغفرة ، حليم على من عصاه ، جعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا ، وجعل الظل والحرور ، وخلق الظلمات والنور !! .

* * * * *

كريم الصفح ، يضاعف الحسنات ، الكافي ، المعافي ، رافع الدرجات ، عظيم البركات ، خير الغافرين ، خير الناصرين ، خير الحاكمين ، خير الوارثين الحلال ما أحله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، والسر عنده علانية ، والخلق خلقه والعباد عباده ، في كل شيء له آية ، قال تعالى : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات /٢١.
تواضع كل شئ لعظمته ، وخضع كل شئ لهيبته ، وانقاد كل شئ لخشيته ، دليل المتحيّرين ، وأمان الخائفين ، وعون المؤمنين .

* * * * *

سبحانه سبحانه . ذل كل شيء لعزته ، وانقاد كل شيء لخشيته ، ودكت الجبال من مخافته . ياذا الجود والعطاء ، والمجد والثناء ، والعز والبقاء ، والآلاء والنعماء ، صانع كل مصنوع ، وخالق كل مخلوق ، وساتر كل مذنب ، وملجأ كل مطرود ، لا غاية لقدرته ، ولا نهاية لرحمته ، خالق اللوح والقلم ، خالق الأشياء من العدم . له الصفات العليا، وله الأسماء الحسنى ، بيده النفع والضر ، منزل الغيث ، ومحيي الأرض ، قال وقوله حق : (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات ، وحب الحصيد) سورة ق / ٩ .
سميع لمن دعاه ، ليس وراءه منتهى ، يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور ، عليم بالمحسنين ، عليم بالمتقين ، عليم بالمجاهدين ، أعلم

بمن ضل عن سبيله ، وأعلم بمن اهتدى .

* * * * *

سبحانه سبحانه . شديد المحال ، يلجأ إليه الخائفون ، وإليه يفزع المذنبون ، وإليه يرغب الزاهدون ، وعليه يتوكل المتوكلون ، غالب غير مغلوب ، وصانع غير مصنوع ، وخالق غير مخلوق ، ومالك غير مملوك ، وقاهر غير مقهور ، كلامه شريف ، وفعله لطيف ، ويَسأل ولا يُسأل ، يحب التوابين ، ويحب الصابرين ، عليم بالشاكرين ، وبابه مفتوح للطالبين ، سبيله واضح للقاصدين ، آياته برهان للناظرين ، كتابه تذكرة للمنتفعين ، تبارك اسمه وتعالى جده ، وتقدست أسماؤه ، وتزلزلت الأرض من مخافته ، ويسبح الرعد بحمده ، وتسبح الملائكة من خيفته ، مطلع على أفعال العباد في ضياء النهار أو سواد الليل في فلاة أو خلاء ، في السر أو العلانية ، نعوذ به من الغفلة ، ونسأله سبحانه أن يجعلنا من أولي الألباب .

* * * *

تواضع كل شيء لعظمته ، وخضع كل شي لهيبته ، إله يفرح لتوبة عبده وهو الغني والعبد فقير ، إله يدعو المعرض عنه من قريب ، ويتلقى المقبل عليه من بعيد ، رب عظيمٌ يداول الأيام بين الناس فيبدل بعد الخوف أمنا ، ومن بعد الضعف قوة ، ويجعل من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ، ومع كل عسر يسرا !! .

عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " رواه مسلم .

فالشعور بعظمة الله وقدرته الواسعة ، وعلمه الشامل وكرمه الرحب ، وعفوه الجميل ، ومودته لخلقه ، وبره بهم إنّ ذلك يفعم القلوب بالولاء ،

ويطلق الألسنة بالثناء ، ويشعر الإنسان من أعماق قلبه أن مـــا دون الله هباء ، عندئذٍ لا تروعه سطوة سلطان ، ولا تخدعه ثروة غنى . فـالتعلق بغير الله عجز والتطلع إلى سواه حُمق ، والله الغنيُّ ، ونحن الفقراء إليه، نتوسل إليه بأسمائه ، وصفاته، والأنبياء توسلوا إلى الله بذلك ــ فقــال ذو النون (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) الأنبيـاء / ٨٧ . ومــوسى عليه السلام قــال : (إني عذت بربي وربكم) غـــافر /٢٧. وإبراهيم واسماعيل عليهما السلام قالا : (ربنا تقبل منا إنك أنت السـميع العليم) الـبـقــرة / ١١٢ . وآدم وحواء قالا : (ربنا ظلمنـــا أنفسـنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن مـــن الخاســرين) الأعــــراف/٢٣. ويوسف قال : (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحـــاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخــرة توفنــي مسـلما وألحقني بالصالحين) يــوسف /١٠١.

فــغـنَــى الــرب وافتقار العبد أمر يقتضى أن يتوسل العبد الفقــير إلى الرب الغني عز وجل ؛ كي ينجو العبد مما يُرهــب ، ويظفــر بمــا يحب ويرغب قال تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هــو الغنى الحميد) فاطر /١٥.

فحب الله وتقواه وعبادته أعظم نعيم في هذه الدنيا !! ولا ســـعادة إلا إذا توجهت قلوبنا وجوارحنا إلى خالقها وفاطرها وبارئها دون ســواه ، والاعتقاد الجازم بأن الله هو رب كل شيء ، ومليكه قال تعـــالى : (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) الــقــلـــم / ٣٤ . وقال أيضا (بــل الله فاعبد وكن من الشاكرين) الــزمــر / ٦٦ .

والإيمان بملائكته وكتبه ، ورسله ، ومخافته ، وخشيته وتقواه في كـلى أعمالنا . قال تعالى : (واتقوا يوما لا تجزى نفس عـــن نفــس شــيئا) البقرة / ٤٨ .

أسألك ياالله أن تقذف في قلبي حبك حتى لا يكون لي شغل سـواك ، وأن تجعل لي من أمري فرجا ومخرجا ، ولك الحمد لا إله إلا أنت يـا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض ـ ياذا الجلال والإكرام . آمين.

* * * * *

سبحانه سبحانه . كَـرَّم الإنسان فخلقه على أحسن صورة ، ومـيَّزه بالعقل والفكر ، والمنطق ، وجعله خليفته في أرضه ليسكنها ويعمرها ، وسخر له ما في الكون جميعا لمصلحته وسعادته ، وأول مـا خلـق الله العقل فقال له : أقبل فأقبل ثم قال أدبر فأدبر ثم قال لـه عـز وجـل : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليَّ منك ـ بك آخذ ، وبك أعطـي وبك أثيب وبك أعاقب !! وفي الحديث لكـل شـيء دعامـة ودعامـة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته .... ، أما سمعت قـول الفجـار وهم في النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السـعير) الـمـلك / ١٠ . ومن هنا كان العقل محققا للعدالة السماوية ، ومنفـذا للإرادة الإلـهية قال تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في الـبر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علـى كثـير مـمن خلقنـا تفضيلا) الإسـراء /٧٠ .

فالإنسان في هذه الآية الكريمة شهد لـه خالقـه الأعظـم بالمكانـة والتفضيل بين الخلائق أجمعيـن وأن الله سـبحانه وتعـالى إختصـه بالتكريم وخصه بالتفضيل وأنه سبحانه وتعالى أوجد كل ما عداه لأجلـه قال سبحانه وتعالى في حديث قدسى : " يـابن آدم لا تخـف مـن ذي سلطان مادام سلطاني لا يزول ، ولا تخف من فوات الرزق مـا دامـت خزائني مملوءة لا تنفد ، خلقت الأشياء كلها من أجلك ، وخلقتـك مـن أجلى . فسر في طاعتي يطعك كل شيء "

فمن عبده سبحانه بالحب والخوف والرجـاء وكـان مـن الصـابرين

الشاكرين الحامدين ، لاقصد له في عمله وقوله وجــهاده إلا وجــه الله والدار الآخرة ـــ فهو المؤمن الموحد ذو الإخلاص ، ويفــوز بمشــيئة الله برضوان ربه . قال تعالى : (فمن اتبع هــداى فــلا يضــل ولا يشقى) طــه / ١٢٣ .

فالله سبحانه وتعالى بيده كل شيء ، وبيده مفاتح الغيب . قال تعــالى: (إن الله عنده عِلمُ الساعة ، ويُنزلُ الغيث ، ويعلم ما في الأرحــام ومــا تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تمــوت إن الله عليم خبير) لــقمان / ٣٤ .

وهذه هي مفاتح الغيب التى إستأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحــد إلا بعد إعلامه تعالى بها.

مع العبادات العــملــية والــقــلبية

يفتح الإسلام الحنيف للعابد الطائع ألوانا من القربات ، وصنوفا مــن العبادات التي تقرب العبد من ربه ، وترفعه درجات ودرجــات ، وهــذه الأمور بمثابة السبل العديدة التي توصل إلى غاية واحدة هي رضوان الله عز وجل ونيل مثوبته ، والأمن من عذابه ، واللياذ بجنابه ، والنجاة مــن غضبه ونقمته .

ومن رحمة الله بالمؤمنين أن يسر هذه السبل ، وحث عليها ، ورغّــب في سلوك دروبها لمن أراد أن يتذكــر أو أراد شــكوراً . ومــن هــذه العبادات القلبية والعملية أو السلوكية : الخوف من الله ، وحسن الخلــق ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وكفالة الأيتــام ، والرضــا بالقضــاء ، والتواضع ، والوفاء بالعهد والوعد ، والمداومــة علــى الصدقــة ... ، وغيرها كثير . ولأهمية هذه الألوان من العبادات وأثرها فــي اســتقامة العابدين أُخص بعضها بالبيان في الفقرات التالية وبالله التوفيــق ومنــه

العون، وعليه التكلان

الخوف من الله

مخافة الله عز وجل هى حبس النفس عن الشهوات ، واليقين بأن الله سبحانه وتعالى رقيب على كل أحوال العباد ، وأنه سميع بصير ، فهو سبحانه يدرك الأبصار والأبصار لا تدركه والخوف من الله من أجمل الصفات التى يتصف بها الإنسان ، وهى الطريق الأقوم السليم لنجاح العبد المؤمن الذى يخاف الله ويخشاه في عمله وبيته ، وفي مستقبله . فيكون الله سبحانه وتعالى دائما سنده وينال ثوابه ورضاه .
قال تعالى : (فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) التوبة / ١٣ .
وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يلج النار أحد يبكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع " . وقال أيضا : " دمعة العاصي تطفيء غضب الرب " . وقال صلى الله عليه وسلم : " من رُزقت عيناه خشية الله كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل أحد في ميزانه !! وله بكل قطرة عين في الجنة على حافتيها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر "
قال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) النازعات /٤١ .

ومخافة الله في كل الأعمال تولد الثقة بين الأفراد والجماعات ؛ فالإنسان الذى يخاف الله ويخشاه بقلبه وعينيه وجوارحه هو المؤمن السعيد في الدنيا والآخرة . قال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة / ١٠٥ . وقال عليه السلام " من غشَّ أمتي فليس مني "
قال تعالى: (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير

وأحسن تأويلا) الإسـراء / ٣٥ . حُـكِـيَ أن رجلا من الصحابـة كان عنده ثوب فيه عيب ، وفي غيابه باع غلامه الثـوب فلمـا حضـر التاجر وأخبره الغلام ببيع الثوب قال التـاجر للغـلام : هـل أخـبرت المشتري بما في الثوب من عيب . فقال الغلام : لا فـأمره التـاجر أن يذهب إلى المشترى ويخبره بما في الثوب من عيب ، ويحضـر الثـوب !!.

هذا هو صوت الإيمان ومخافة الله وخشيته ، وهذه هي الأمانة التـي أمر الله بها ، وهذا هو عدم الغش ، وهذا هو رضا الله ـ قال عليٌّ كـرم الله وجهه ـ من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ، ولا عن النـار مهربا :

"من عرف الله فأطاعه ، ومن عرف الشيطان فعصـاه ، ومـن عرف الحق فاتبعه ومن عرف الباطل فأتقـاه ، ومـن عـرف الدنيـا فرفضها، ومن عرف الآخرة فطلبها !! ". و قال عليه الصلاة والسلام : " إن من أخيار أمتي قوما يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ، ويبكـون سراً من خوف الله وعقابه !! أبدانهم في الأرض ، وقلوبهم في السـماء ، وأرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة ، يمشون بالسكينة ، ويتقربـون بالوسيلة ، وهم أولو الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب "

فهذه هي خشية الله ، ومخافة العقاب الذى يسوء في يوم لقائه الرهيب ومن أنواع العبادات التى أمـر الله بـها ـ الدعـاء ـ والخـوف ـ والرجاء ـ والتوكل ـ والرهبة ـ والخشوع ـ والخشية ـ والإنابـة ـ والإستعانة ، وغير ذلك من العبادات التى أمر الله بها ، وكلف العـابدين الطائعين بأن يقصدوه بها وحده ، مصداق ذلك في قوله : (وأن المساجد لله فلا تدعـوا مع الله أحدا) الـجـن / ١٨ . ودليـل الخـوف قولـه تعالى : (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) آل عمران /١٧٥ .

ودليل الخشية قوله تعالى (فلا تخشوهم واخشوني) البقرة / ١٥٠ . ودليل الإنابة قوله عز وجل : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له) الزمر / ٥٤ . ودليل الإستعانة (إياك نعبد وإياك نستعين) الفاتحة / ٥ . ودليل التوكل (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) المائدة / ٢٣ . ودليل الرجاء قوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الكهف /٨١ .

وهكذا فإن فمن يطع الله ورسوله ويخش الله ويخافه فأولئك هم الفائزون الناجحون في دنياهم وأخراهم ؛ فالطاعة لله ورسوله تقتضي السير على المنهج القويم الذى رسمه الله للبشرية عن علم وحكمة . وخشية الله ومخافته هي الحارس الذى يكفل الإستقامة على المنهج ، وإغفال المغريات التى ينفر منها طبع المؤمن ويستعلى عليها ضميره . فالمؤمن الحق يخاف الله ويطيعه ، ويخشاه ولا يحني رأسه إلا لله سبحانه وتعالى.

التسبيح والتحميد

وهو من أسمى العبادات لأن التسبيح والتحميد ثناء على الله عز وجل بما هو أهله . وقد ورد في الحديث الشريف أن الباقيات الصالحات هى : " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " .

ومن لزم ذكر الله في هذه الدنيا كان المهاد لكل خير ، والأساس لكل حسن لأنه روح كل عبادة تصعد من الأرض إلى السماء ، وهوتنزيه للخالق عز وجل عن كل نقص ، ومباعدته من كل عيب ، فلا يشعر الإنسان مع ذات الله إلا كل جلال وجمال ، والمؤمن هو الذى يحس ذلك ويألفه .

والله سبحانه وتعالى الذى أعطى الأفلاك ضخامتها وسعتها ، وخلق

البشر وأعطى العقول خفاءها وذكاءها ، وهو الذى من حقه أن يُعـــرف بأنه الواحد الخالق المعبود البديع فليس كمثله شيء وهو على كــل شــئ قدير . وأن نحمده سبحانه في السراء والضراء ، والمسلم يشكر نعمة الله التى في عنقه ، ويقدر ما لديه من مننه ، لا ينكرها ولا يزدريها ، ومــن هنا كان حمده عبودية كاملة . وكان عليه الصلاة والسلام إذا فرغ مــن طعامه وشرابه يقول: "الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مســلمين" !! أليس من حق القيم على شئون الحياة ، المنفق على جماهير الأحيــاء أن يعرف بأنه العلي القيوم ، الكريم المنان ، فالشعور بعظمـــة الله وقدرتـــه يطلق الألسنة بالثناء . من أجل ذلك حفل القرآن الكريم والسنة المطــهرة بالتسبيح والتحميد والتنزية ، والتمجيد ، تربية للمؤمن وإرشادا ؛ لتكــون تلك الأذكار والأدعية زادا للمؤمن ، ويظل لسانه رطبا بترديدها . وهــذه الأذكار مبثوثة في الصلاة التي يؤديها المسلم خمس مرات فـــي اليــوم والليلة ، فنجد تلك الأدعية والأذكار منسقة مرتبة ؛ فعندما يقف المصلــي بين يدي ربه ويشرع في قراءة فاتحة الكتاب تجده يقــول : (الحمــد لله رب العالمين) وعندما يركع يقول (سبحان ربي العظيم) وعندما يسـجد يقول (سبحان ربي الأعلى) وعندما يقعد في التشهد يقول (التحيــات لله) وعندما ينهي صلاته يعود مرة أخرى لتسبيح الله وتكبيره وتحميده فـــي أعقاب الصلوات المكتوبات .

والمسلم بعد ذلك وقبله يُشغل بذكر الله ، ويعمر وقته مقتديا برســـوله الكريم الذى أضاءت حياته بأشعة لا حصر لها من هذه الصلة الســماوية العالية ـــ ذلك أن الله لما حمله أعباء الرسالة أرشده إلى أن أعون شــيء على النهوض بها والقيام بحقوقــها هــو إتصــال التســبيح والتحميــد قال تعالى:

(وأصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليــل

فسبحه وأدبار النجوم) الطـــور /٤٨ . ومن العبث أن يتصور أحدٌ أن التسبيح والتحميد حركة شفتين ، واضطراب لسان !! كلا . إنه تفتح قلب واتضاح غاية ، وسفر نفس إلى بارئها ؛ فالليل والنهار خطوات سير ، ومراحل طريق ، وقول لاإله إلا الله هى الكلمة العليا وهى القطب الذى تدور عليه رحى الإسلام ، والقاعدة التى بنيت عليها أركان الدين ، وهى أعلى شُعب الإيمان ، وإذا أحب الله إنسانا رطب بذكره لسانه ، وأنعش به جنانه ، ويسر له ما يردده إليه إن بعُد ، وما يقيمه على الصراط إن شرد.

ومن هنا وجب أن نحوّل التسبيح من قول باللسان إ لى شعور في القلب إلى رفعة في السلوك ، وأن يضبط المسلم مشاعره في السراء والضراء ، ويربطها بمشيئة الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال يامحمد أقريء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر " .

فالتسبيح والتحميد بكل أنواعه يوصل لرضا الله وجنته ونعيمها فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " رواه البخار. ، وعنه أبي ذر رضي الله عنه قال ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده رواه مسلم.

حسن الخلق

حسن الخلق هو عطية الله العظمى لعباده المؤمنين وهو صلة بين الله وبين العبد وأفضل المؤمنين إيمانا أ حسنهم خلقا . قال عليه الصلاة والسلام " إن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفاسفها " . وقال أيضا : " خير ما أعطى العبد حسن الخلق ، وإن الله ليعطى العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطى المجاهد في سبيل الله ، يغدو عليه الأجر ويروح". ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوات : " اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت " !! .

فحسن الخلق ملكة تبعث النفس على أفعال حميدة واكتساب شيم شريفة ، ومن علامات حسن الخلق أن يكون الإنسان كثير الحياء ، قليل الزلل ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صادق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الفضول ، برا ، وصولا ، وقورا ، صبورا ، شكورا ، راضيا ، حليما ، رفيقا ، عفيفا ، ليس لعانا ، ولا نماما ، ولا مغتابا ، ولا عجولا ، ولا حقودا ، ولا بخيلا ، ولا حسودا ، ويكون باشا ، هاشا يحب في الله ، ويرضى في الله ، ويغضب في الله !! . قال الحسن البصرى حقيقة حسن الخلق : " بذل المعروف ، وكف الأذى وطلاقة الوجه " . وقال عليه الصلاة والسلام " لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء " وحسن الخلق دليل كمال الإيمان ، وقد فتح النبي عليه السلام بخلقه مثل ما فتح بسيفه ، وعبد ربه بأدبه كما عبده بصلاته وصومه ولقد قال عليه الصلاة والسلام : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا ويبلغ المرء بحسن خلقه ما يبلغه بصلاته وصيامه ".

وإن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد .

إن المكارم أبواب مصنفة : فالعقل أولها ، والصمت ثانيها ، والعلم

ثالثها، والحلم رابعها ، والجود خامسها والفضل سادسها ، والصبر سابعها والشكر ثامنها ، واللين تاسعها ، والصدق عاشرها . وعن عائشة رضي الله عنها: "إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار".

ومن حسن الخلق مسلك من وردوا في قول النبي عليه الصلاة والسلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ... وهم : " إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله سبحانه وتعالى ، رجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه . ورجل دعته إمرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "

فهذه الأعمال والطاعات من حسن الخلق وهى أمور حميدة نبيله ينال عليها العبد ثواب الله ورضاه ، وهي عطية الله وفضله على عبده المؤمن ، إذ تبدر أفعاله وأعماله منبعثة من صفاته باخلاص لله ، وبنقاء وصفاء ، وضمير حي لا نفاق فيه ولا رياء ، بل تصدر عن حب لله عز وجل ، ورغبة صادقة في طاعته ولزوم ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، وعندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق تلا قول الله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الأعراف / ١٩٩ . ثم قال : " وأن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك " !! .

ومن حسن الخلق التقوى ؛ فالتقوى هي الزاد ، وفزادها يحيى القلوب ويوقظها ، وأيضا هو زاد المغفرة من الخطايا ، الزاد المطمئن الذى يسكب الهدوء ، وزاد الأمل في فضل الله العظيم ، يوم تزيد الأزوار ، وتقصر الأعمال فتقوى الله تجعل في القلب فرقانا يكشف له متعرجات

الطريق ، وهو الحقيقة ككل حقائق العقيدة لا يعرفها إلا من ذاقها فعلا قال تعالى : (يأيها الناسُ إتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم) الحج / ١ . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال :
"تقوى الله وحسن الخلق ، واجتناب المنكرات " وأكرم الخلق عند الله أتقاهم قال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات / ١٣ .
والله سبحانه وتعالى مع المتقين برعايته وعونه وهداه قال تعالى :
(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) النحل / ١٢٨ . وهو سبحانه وتعالى ينجى المتقين من هول العذاب وهوانه يوم القيامة قال تعالى : (وينجى اللهُ الذين إتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء) الزمر/٦١ . والله يغدق على المتقين خيراته وبركاته ــ قال تعالى:
(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) الأعراف / ٩٦ .

وقد جعل المولى عز وجل للمتقين من كل كرب فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ــ قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسبُ) الطلاق ٢،٣ . والله يجعل أمر المتقين دائما يسرا قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) الطلاق/٤ .
والمتقون عند ربهم في موضع الإكرام والنعيم . قال تعالى (إن المتقين في جنات ونعيم) الطور/ ١٧.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " طوبى للأتقياء الأثرياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة ".

وأثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأنشد أبو الدرداء يوما

يريد المرء أن يؤتى مُناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما إستفادا

والتقوى وحسن الخلق جُمَّاع الخير كله وهى خير ما يستفيده المرء بعد الإيمان بالله تعالى ، والتقوى هي وصية الله في الأولين والآخرين ، وهى خير الزاد ـ قال تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يأولي الألباب) البقرة / ١٩٧ .

وإن النفس البشرية لا ترتقى إلا حين تتعامل في كل أمورها مباشرة مع الله متجردة عن كل ما عداه ، وحين تستشعر تقواه وأن عينه على خفايا الضمير وذات الصدور ، وتنزع إليه من محاباة الأقارب والمعارف في جميع الأحوال ، ويطلب الله سبحانه وتعالى التقوى في كل الأمور ويأمر بالعدل ـ قال تعالى :

(إن الله يأمرّ بالعدل والإحسان) النحل / ٩٠ .

والعدل ميزان الله في الأرض به يرد الله من الشديد على الضعيف من الصادق على الكاذب ، ومن المبطل على المحق . وبالعدل يصلح الناس وهو من صفات تقوى الله . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، واتقوا الله في عمل ونطق وفعل والهوى هو ما تميل إليه النفس ، والقرآن الكريم ينهى عن إتباع ما تميل له النفس فحب المال هوى ، وحب الأهل والأقربين هوى ، والعطف على الفقير في موطن الشهادة والحكم هوى، ومجاملة الغنى هوى ، والتعصب للعشيرة والدولة والوطن في موضع الشهادة والحكم هوى ... ، وهذه كلها مما ينهى الله الذين آمنوا عن التأثر بها ، والعدول عن الحق والصدق تحت تأثيرها ـ فلا بد أن يوقن المؤمن بأن الله دائما رقيب عليه فتدفعه هذه المراقبة الدائمة لله إلى مستوى من التقوى تشكل سلوكه. قال على كرم الله وجهه: " التقوى هى

الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ".

وبهذه المعانى السامية التى يتذوقها المؤمن من التقوى يحقق الهدف الذى خلق من أجله ، وهو عبادة الله والعمل بما أمر به وإجتناب ما نهى عنه ، وتقواه في كل وقت وفي كل مكان . قال تعالى : (ولأجر الآخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون) يوسف / ٥٧ .

بـرُّ الوالدين

من أسمى الأعمال التى تنفع العبد وينال بها ثواب الله ولقد وصَّى الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بالبر بالوالدين ؛ لأن للأم والأب الفضل الأكبر نحو الأبناء سواء كانوا ذكورا أم إناثا . فالوالدان يبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال في غير تأفف ولا شكوى ، بل في نشاط وفرح وسرور ، وكأنهما اللذان يأخذان . فيجب على الأبناء أن يقدروا ما قام به الأب والأم نحوهم ــ فالأم التى حملت ثم ولدت ثم أرضعت ثم ربت وتعبت ، وسهرت الليالى في الصغر والكبر للحفاظ على صحة الأبناء ومستقبلهم، وعلى حياتهم بكل ما تملك من جهد وقوة ، وحنان وعطف في سبيل رعاية فلذة كبدها ، والأب الذى كافح وناضل وتعب وفكر ، وهرول يمينا ويسارا بكل مكان بعيد وقريب ، للحصول على الرزق الذى قدره الله له لإنفاقه على أولاده حتى كبروا وطمأن الأب والأم على حياتهم ومستقبلهم ، وأصبح كل منهم وقد نال مكانة في المجتمع ، وأصبح مسئولا . ماذا تستحق منهم هذه الرسالة النبيلة السامية التي قام بها الوالدان ؟ ألا تستحق الوفاء لهما ، والبر بهما ، وطاعتهما ، والإحسان إليهما ، وذلك بإكرامهما والشفقة عليهما ، والتلطف بهما ،

وتوقيرهما ، وتعظيم شأنهما وخفض الجناح لهما ، وتكريمـــهما بـــالقول والفعل ، وعدم نهرهما وألا يؤثر الأبناء عليهما أحداً ، وعلى الأبنـــاء أن يقدموا للوالدين من أنواع البر والإحسان وطاعتهما في كل ما يأمران بــه أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله ، وأن يقولا لهما قـــولا حســـنا مقرونا بالاحترام ، ولا ينبغى للولد أن يرفع يد والده عنـــه إذا ضربــه لتأديبه، ومن شدَّد النظر إلى والديه لم يبرهما ومن أدخل عليهما حزنـــا فقد عقهما . قال الحسن البصرى : " حق الوالـــد أعظم وحـــق الوالـــدة ألزم " . والله سبحانه وتعالى حث في كتابه الكريم على بـــرّ الوالديـــن والإحسان إليهما . قال تعالى :

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) الإســراء / ٢٣ .

وفي الحديث : " أول شيء كتبه الله فـــي اللـــوح المحفـــوظ : بســم الله الرحمن الرحيم " إنى أنا الله لا إله إلا أنا . من رضي عنه والـــداه فأنـــا عنه راض) وقال النبي عليه الصلاة والسلام : " من أصبـــح وأمســـى مرضيا لوالديه أصبح وأمسى له بابان إلى الجنة " . وقـــال أيضـــا العبد المطيع لوالديه والمطيع لرب العالمين في أعلـــى علييـــن " قـــال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) الأحقاف / ١٥

وقال عليه الصلاة والسلام : " من حج عن والديه بعد موتهما كتــب الله له عتقا من النار ، ومن زار قبر والديه أو أحدهما كل جمعة غفر الله لــه وكتب له براءة من النار " . وعن النبي صلى الله عليه وسلم قـــال : " من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعـــة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة ، وسورة الإخلاص والمعوذتين خمـــس مرات فإذا فرغ استغفر الله خمس عشرة مرة وصلى على النبي خمـــس عشرة مرة ، وجعل ثوابهما لوالديه فقد أدّى حقـــهما ولا يعلـــم ثوابـــهما إلا الله ".

ولقد وصانا ربُّنا أن نحسن إلى الوالدين في كل أطوار حياتنا وفي كل لحظة تمر علينا من عمرنا ؛ لأن عقوق الوالدين من الكبائر ويعتبر من عق والديه جبارا شقيا . وهذه القصة حكيت عن موسى عليه السلام تدل على فضل الله على من بر بأمه " لما خرج موسى عليه السلام من أنطاكية يريد الشام تعب فأوحى الله إليه أن يأوى إلى سفح جبل فيه عبد لي فاسأله شيئا تركبه ـ فوجده موسى يصلى فلما فرغ قال موسى : يا عبد الله أريد شيئا أركبه فنظر العبد إلى السماء وإذا بسحابة سائرة فقال أيتها السحابة أنزلى وأحملى هذا العبد حيث يريد ـ فنزلت فركبها موسى عليه السلام . فقال الله ياموسى أتدري بأي شيء أعطيته هذه المنزلة ؟ قال لا يارب قال سبحانه وتعالى : سألته أمُّه حاجة عند وفاتها فبادر إلى قضائها فقالت الأم ـ ياإلهى كما قضى حاجتي فأقض حاجته ، ولو سألني أن أقلب الخضراء على الغبراء لفعلت ـ أن فضل الله عظيم وثوابه جزيل على من يعمل لرضا والديه قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وَهنا على وَهن وفِصَالُهُ في عامَيْن أن أشكر لي ولوالديْكَ إليَّ المصيرُ) لقمان / ١٤ .

ففي هذه الآية الكريمة يوصى الله سبحانه وتعالى الإنسان بوالديه كما جاء أيضا بآيات أخرى ، ويحثه على أن يشكر الله سبحانه وتعالى الذي أوجده وهو المنعم الأول ، وأن يشكر والديه المنعمين التاليين على ما قام به نحوه ، وأن مرجعه إلى الله إشارة إلى حقيقة الآخرة وسوف يحاسبه الله ويثاب على ما قدم في سبيل رضاء والديه حيث ينفع رصيد الشطر المذخور فينال المرء الثواب ورضاء الرحمن .

ووصانا ربنا أن نحسن إلى الوالدين في كل أطوار حياتنا وحتى إذا ماتا فنترحم عليهما لنشعر دائما بالإنتماء إليهما لأنهما عملا الكثير في

سبيل تربيتنا ومستقبلنا فلا تكن عاقا وأعلم أن ما تفعله في أبـــائك يفعلـــه أبناؤك فيك من بعد فكما تدين تدان.

صــلـــة الأرحام

الرحم : القرابة ، وصلة الرحم مشروعة ، وهـــي تقـــوّى روابـــط المودة والحب ، والتمنى لتحقيق الآمال للأهل والأقارب ، وتشـــد الأزر بين العشيرة والأهل فـــفي أى ظرف من ظروف الحياة يجد من يصـــل رحمه العون والمساعدة سواء مســـاعدة ماديـــة أو بدنيـــة مـــن الأهـــل والأقارب وعن أبي بكر رضى الله عنه قال قال رســـول الله صلـــى الله عليه وسلم : " ما من ذنب أحرى أن يُعجل الله تعالى عقوبته في الدنيـــا مع مال يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي ، وقطيعة الرحـــم " رواه أبو داود.

وتكون صلة الرحم بزيارة ذوي الأرحام ومعونتهم بالنفس والمـــال ، هدية وصدقة وهبة وزكاة إن كانوا فقراء ، وفوائد الصلة أنها تبعد الحقـد والضغينة وتدخل السرور والفرحة ، قال عليه الصلاة والسلام : " أحـــب الأعمال إلى الله الإيمان بالله ثم صلة الرحم ، وقال لا يقبل الله أعمـــال قاطع رحم ".

وقال النبي أيضا " أسرع الخير ثوابا البر وصلـــة الرحـــم " . وعـــن عائشة رضي الله عنها قالت عن النبي عليه الصلاة والسلام : " الرحـــم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بتته " .

وقال أيضا قال الله تعالى : " أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اســـما من اسمى فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه ، ومن بتها أبته " .

وسأل موسى عليه السلام ربه ــ .إن تباعدت عنى كيف أصلـــها قـــال سبحانه وتعالى (أحبب لها كما تحب لنفسك). وقال النبي عليـــه الصـــلاة

والسلام:
" توضع الرحم يوم القيامة لها حجبة كحجبة المغزل تكلم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها " .
وفي شريعتنا المطهرة تحصل الصلة بإرسال الهدية والسلام ، وصلة الأرحام من أهم ما دعا إليه الإسلام ، وأمر به الرحمن في كتابه الكريم مبينا أهميتها ، وثوابها لمن يفعل . قال تعالى : (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) . الرعد/٢١ .
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن أعمال بني آدم تعرض على الله ليلة الجمعة ، ولا يقبل الله أعمال قاطع رحم " .
وفي الآية الكريمة التى سبق ذكرها إجمال ما أمر الله به أن يوصل يصلونه أى أنها الطاعة الكاملة لله سبحانه وتعالى ، والإستقامة الواصلة والسير على السنة ووفق الناموس لا إنحراف ولا التواء أى الإستقامةالمطلقة التى لا تلوى ، والطاعة المطلقة التى لا تتفلت ، والصلة المطلقة لا تنقطع ومن هذه الطاعة لله صلة الأرحام ـ وصلة الأرحام لها طرق كثيرة منها ـ تبادل الزيارات ـ أو مد يد المعونة والمساعدة في كل الظروف والأحوال ، وأيضا بإرسال الخطابات ، وأيضا الإتصال التليفوني . مما يحبب القلوب ، ويقرب النفوس ، ويشرح الصدور قال عليه الصلاة والسلام : " تهادوا تحابوا فإن الهدية تذهب وغر الصدور " وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقال يا رسول الله : إن لي ذوي أرحام . أصلهم ويقطعون ، وأعفو ويظلمون ، وأحسن ويسيئون أفكافئهم ـ قال الرسول عليه الصلاة والسلام : لا إذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فإنه لن يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك " . وعن عبد الله

بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرحـــم معلقـــة بالعرش وليس الواصل بالمكافيء ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها " رواه البخاري .

كفـــالـــة اليـــتيـــم

اليتيم هو من مات أبوه ولم يبلغ ، وكفالته تتمثل في العناية بـــأموره ، وتنمية ماله ، قال تعالى : (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) البقرة / ٢٢٠ .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : " أنا وكافل اليتيم فـــي الجنـــة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما " . وفي الإحســان إلى اليتيم قال عليه السلام : إن أحب البيوت إلى الله بيـــت فيـــه يتيـــم يحسن إليه وإذا بكى اليتيم اهتز عرش الرحمن . وقـــال عليـــه الصـــلاة والسلام : " من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة مرت عليها يـــده عشر حسنات " .

وعن أبي الدرداء أنه شكا قسوة قلبه إلى النبي عليه الصلاة والســـلام فقال له : " ارحم اليتيم وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلن قلبـك !! " فالاهتمام باليتيم والرعاية له ، وإعطائه الحب والحنـــان الـــذى فقـــده يجعله ينشأ نشأة صحيحة قويمة فيصير نافعا لنفسه ولوطنه ، ولنـــا فـــي رسول الله أسوة حسنة فقد تربى يتيما ورغم يتمه برزت فيـــه الرجولـــة الحقة ، والشجاعة ، وامتاز بالصفات الحميدة .

قال عليه الصلاة والسلام : " والذى بعثنى بالحق نبيا لا يعذب يـــوم القيامة من رحم يتيما " . وفـــي الذكـــر الحكيم دعـــوة إلـــــى الرحمة باليتيم قال تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر) الضحى / ٩ .

وحكى أن رجلا كان كثير المعاصي فوجد يوما يتيما فكساه ثوبا فلمـــا

كان تلك الليلة رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وقد أمر به إلى النــار فلما قرب منها إذا باليتيم يقول خلوا عنه فإنه كساني ثوبا !! . فقــالوا : لم نؤمر بهذا . فإذا النداء من قبل الله تعالى خلــــوا عنــه كرامــة لليتيم. قال تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) الرحمن /٦٠.

ونرى مما دعت إليه الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية الشــريفة ، الحث على الاهتمام باليتيم من كل نواحي الرعايـــة ، ويؤمــن المســلم بقدسية كلام الله ، وبكلام رسوله فعليه أن يكون من السابقين لعمل الخير تجاه اليتامى حتى يفوز بثواب الله ورضاه وقربه لجنته . وقال بعـــض المريدين : ما خفت الموت ، ولكن خفت ما وراءه ، وهذا هــو الــوازع الديني الذى يهيمن على الإنسان ، ويمنعه من الإنحراف ، فـــالمؤمن لا يقع في الذنوب خوفا من الله وعقابه حيث يراه ، ويجتهد إلـــى طريـــق العمل الذى يرضي الله ، فالمسلم الحق يبغي الدار الآخرة ، فـــلا يكــون ظالما ولا حاقداً ، ولا طلباً للمادة من أى طريق كان ، ولا يأكل أمـــوال الناس ظلما ومنها أموال اليتــامى ، ولا يســير فــي حياتــه بالتمويـــه والتضليل ، بل يستقيم على طريق الخير لينال رضا الله وثوابه .

الصبر على الابتلاء والــرِّضَا بالقضاء

قال الله تعــالى: (يأيــها الذيــن آمنــوا اصــبروا وصـــابروا) آل عمران/٢٠٠

والصبر هو حبس النفس على ما تكره تقربا إلى الله ، ولا شيء يعـــالج الهموم إلا الصبر . فالصبر مفتاح الفرج وشفاء الصدور فـــي التســليم للمقدور ، وتمام الصبر أن يكون كما قال الله تعالى في كتابــه الكريــم : (والذين صبروا إبتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقنــلهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة الســيئة أولئــك لــهم عُقبــى الــدار)

الرعـــد/٢٢ .

سأل النبي عليه الصلاة السلام طائفة من أصحابه : من أنتم ؟ قـالوا : مؤمنين . قال عليه الصلاة والسلام : وما علامة إيمانكم ؟ قالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر على الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء " .

ولا بد من الصبر على الكيد بشتى صنوفه ، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتعاش الباطل ، والصبر على طول الطريـق الشـائك ، والصبر على التواء النفوس ، والصبر على البـلاء ، والصـبر علـى حوادث الزمان ، والصبر لإنجاز الأعمال ، والصبر على ضلال القلـوب وثـقـلـة العناد ، ومضاضة الإعراض !! .

قال تعالى : (سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) الـرعـد/٢٤. فالصبر يعوِّد الصابرين على قوة التحمـل ، ويعـود الرويـة بـالأمور والأشياء ، ويُعود الالتزام ، ورضاء الرحمن وبه ينال الثواب والجـزاء . قـال تعـالى : (إنمـا يُوفـى الصـابرون أجرهـم بغـير حِسـاب) الـزمـر/١٠. ومن يقابل المصيبة بالصبر ، والجلد ، والإيمـان بـالله وأنه لا إله إلا هو ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ... ، فهذا هـو المؤمـن الحق.

قال موسى عليه السلام : ياإلهي . أيّ منازل الجنة أحب إليك ؟ قـال : حظيرة القدس . قال موسى ومن يسكنها ؟ قال سبحانه وتعالى أصحـاب المصائب الذين إذا ابتليتهم صبروا ، وإذا أنعمت عليـهم شـكروا ، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون !! . وقال عز من قـائل : (ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص مـن الأمـوال والأنفـس والثمرات وبشر الصابرين) الـبـقـرة / ١٥٧.

والصبر من أسمى صفات الإيمان لأنه يعود الحلـم ، وكتـم الغيـظ والحمد والرضا على البلاء ، والتسليم بقضاء لله ، والاستسلام لمشيئته ،

والحامدون الذين تنطوى قلوبهم على الإعتراف للمنعم بنعمـه ، وتلـهج ألسنتهم بحمد الله في السراء والضراء . ففي السراء للشكر على ظـاهر النعمة ، وفى الضراء للشعور بما في البلاء من الرحمة ، حيـن يـدرك القلب المؤمن أن الله الرحيم العادل ما كان يبتلى المؤمن إلا لخير يعلمـه مهما خـفي على العباد إدراكه ، والرضا والاقتنـاع ، والصـبر علـى تكاليف الميثاق ، من عمل وجهاد ودعوة واجتهاد .

قال موسى عليه السلام : ياإلهي دُلّـني على أمر فيه رضاك حتى أفعلـه فأوحى الله تعالى إليه : " رضائي في رضاك بقضائي ".

والرضا أعلى من الصبر درجة ؛ لأن من رضي صبر . قال تعالى: (ورضْوَانٌ من اللهِ أكبرُ) . كذلك رضاء العبد عن ربه أكبر من سـائر الطاعات ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا أحب الله عبدا ابتـلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه " . قال تعالى : (ما عِنْدَكُمْ يَنفَـد وما عِندَ الله بَاقٍ ولَنَجْـزِيَنَّ الذّيَن صَبَرُوا أجْرهُم بأحسَـن مَـا كـانُوا يَعْمَلُونَ) النحـل / ٩٦ .

فالصبر إخضاع النفس وإعدادها لتحمل المكـاره ، والمشـاق حتـى تسهل عليها الطاعات . قال تعالى : (واستعينوا بـالصبر والصَّـلاةِ إنَّ اللّه معَ الصَّابِرينَ) البـقـرة / ١٥٣ . فمن صبر على فرائـض الله فله ثلاثمائة درجة . ومن صبر على ما حرم الله فله سـتمائة درجـة . ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة .

فالإيمان بالله وقدرته يستلزم الإيمان بقضائـه وقـدره ، وحكمتـه ، ومشيئته فمن عرف الله في الرضا عرفه الله في الشـدة ، ومـن صـبر ورضي بالقضاء نال رضا الرحمن وجنته . عن أبي يحيي صهيب بـن سنان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجبـا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلـك لأحـد إلا للمؤمـن ، إن

أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) " رواه مسلم.

التواضع ونبذ الكبر

يعد التواضع ومجانبة الكبر من أسمى الخصال التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن ، وهي من أبرز القيم التى حث عليها ديننا الحنيف ، إذ حرص على تنقية النفوس من الأدران والنقائص ، والخلال المنبوذة ، والصفات القبيحة ، ومن الأخلاق المذمومة التى حرص الإسلام على تنقية نفوس أهله منها خلق الكبرياء ومن ثم نهى عن كل ما يفضي إلى حلول الكبر في قلب الإنسان .

فالعظمة لله وحده ، والكبرياء لله وحده ، وما اتصف إنسان بالتواضع في القول والعمل ، وفي أفعاله إلا فاز بتيسير أموره بعون الله وسنده وأيضا حب الناس له . وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ، وإذا أردنا النجاح في حياتنا فلنحارب الغرور في واقعنا . قال تعالى : (والله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) الحديد / ٢٣ . وقال عز من قائل : (ولا تَمْشِ في الأرضِ مَرحاً إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرضَ ولَنْ تَبْلُغَ الجِبالَ طُولاً) الإسراء / ٣٧ .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : " لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر " . وقال أيضا : " من تواضع لله يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين ، ومن تكبرعلى الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين "

وصلاح القلب في أربع خصال : التواضع لله ، الفقر إلى الله ، الخوف من الله والرجاء لله .

أى لا يدخل الكبر مع صاحبه الجنة بل يخرج منها في عرصات القيامة

بما يحصل للعبد من الأهوال والتوبيخ في ذلك اليوم إذ أوثـــرت جـــهنم بالمتكبرين والمتجبرين ـــ والمتكبر هو المتعاظم بما ليس فيه .
وأوثرت الجنة بالضعفاء وهو من يتبرأ من حوله وقوته ويتمسك بحـــول الله وقوته ولنا في تواضع الرسول أسوة حسنة فـــالنبي عليـــه الصـــلاة والسلام ـــ أمر أصحابه في سفر بذبح شاة ـــ فقال رجل عليّ ذبحـــها، وقال آخر عليّ سلخها ، وقال آخر عليّض طبخها ، وقال النبـــي عليـــه الصلاة والسلام وعليّض جمع الحطب "
وعن تواضع عمر بن الخطاب أمير المؤمنين
قال عروة بن الزبير رضى الله عنهما (رأيت عمر بن الخطـــاب علـــى عاتقه قربة ماء ـــ فقلت يا أمير المؤمنين ـــ لا ينبغى لك هـــذا ؟ فقـــال عمر لما أتانى الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسى نخوة (أى أعجـــب بنفسه) فأردت أن أكسرها)
رحم الله المتواضعين من أمة محمد عليه الصلاة والسلام
فالإنسان حين يخلو قلبه من الشعور بالخالق القاهر فوق عبـــاده تـــأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان أو قوة أو جمال ولو تذكر أن مـــا به من نعمة فمن الله ، وأنه ضعيف أمام حول الله وقوتـــه لطـــامن مـــن كبريائه ، وضعف من خيلائه ، ومشـــى علـــى الأرض هونـــا لا تيـــها ولا مرحا.

فالإنسان ضعيف قوى بقوة الله . عزيز بعزة الله ـــ كريـــم بروحـــه الذى نفخه الله فيه ليتصل به ، ويراقبه ولا ينساه .
والتواضع الذى يدعو إليه القرآن ـــ أدب مع الله ، وأدب مـــع النـــاس ، وأدب مع نفسى ، وأدب إجتماعى ، وما يترك هـــذا الأدب إلا صـــاحب خيلاء فارغ القلب صغير الإهتمامات يكرهه الله لبطره ، ونسيانه نعمتـــه ويكرهه الناس لإنتفاشه وتعاليه .

وأيضا من المتكبرين من ينفقون أموالهم رئاء الناس فخراً واختيـــالاً وتظاهرا ــ كل هذه الصفات الذميمة من الفخر والخيلاء مكروهة عنـــد الله وعند الناس ــ قال الحسين بن على رضى الله عنهما : " ما دخـل قلب رجل شئ من الكبر الا نقص من عقله بقدر ذلك "

والمتواضعون أولئك المهتدون بالقرآن وآياته الموقنون بالآخرة المفلحـون في الدنيا والآخرة لأنهم بما في قلوبهم من تفتح وشفافية يدركـــون فـــي كتاب الله مراميه وأهدافه الحكيمة .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : " إن العُجب يأكل الحسنات كما تـــأكل النار الحطب " فليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكــن الخــير أن يكثر علمك وحلمك وتواضعك لله وإذا أحسنت حمـــت الله ، وإذا أســـأت استغفرت الله .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غـــير كبر ــ فيأتى ضعفاء المساكين ويزورهم ويعود مرضاهم ، ولا يـأنف أن يمشى مع المسكين ، والعبد حتى يقضى لهم حوائجـــهم فكـــان عظيمـــا بتواضعه ، ولكن في عزة وكرامة في غير ضعف أو إســـتكانة ــ تنـــم أفعاله عن نفس طيبة ليس عنده مكر ولا دهاء ولا عجب ولا خيـــلاء ــ فعلينا أن نتجمل بخلقه وننسج على منواله ونترسم خطاه .

ولو وقف الإنسان لحظة يرقب ما خلـــق الله فـــي السـموات والأرض ويستعرض هذا الذى لا يحصى مـــن الأنـــواع والأجنـــاس والـــهيئات والأحوال ، والأوضاع والأشكال ، وخلقها وتكوينها علـــى هـــذا النحـــو العجيب الذى يدل على القدرة ومظاهر الإبـــداع ، ومعجـزات الخلــق المعروضة للأنظار والأسماع . فيُحدُ من كبريائه ، ويؤمن بأن العظمـــة لله وحده والكبرياء لله وحده . قال تعالى : (ولهُ الكِبْرِيَاءُ في السَّمواتِ والأرضِ وهُو العزيزُ الحكِمُ) الجـــاثـيـــة / ٣٧ .

فلا بد للإنسان أن يعرف ما هو ومن خلقه ومن أنعم عليه بهذه النعم ويؤمن أنه مخلوق ضعيف ذليل لله الذى خلقه وأنعم عليه بما هو فيه من نعم فيتواضع في أقواله وأفعاله ومظهره ، ويجتهد بفعل الخيرات بهذه الصفة الحميدة التى هى من أسمى وأبرز سلوكيات الإسلام فينال ثواب الله ورضاه وجنته ونعيمها.

الوفاء بالوعد

يعدُّ الوفاء بالوعد أمارة على حسن إسلام المتخلق به ، وحفظه للعهد ؛ وهو دليلٌ على أن المتحلي بهذه الصفة جدير بحفظ ما ائتمنه الله عز وجل عليه، وفي القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف ما يؤكد الحث على الوفاء بالعهد ، وهو يشمل الوفاء بما تعاقد عليه المسلم والتزم به مع الناس . قال تعالى : (يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنوا أَوْفُوا بالعُقُودِ) المائدة / ١ . والوفاء بالوعد من أكمل الخصال ، وبه تكون الثقة بين الأفراد والجماعات فترتبط برباط المودة والمحبة وهذا هو الإسلام .

وخلف الوعد من صفات المنافقين . والإسلام يؤصل خلق الوفاء بالوعد في نفس كل مسلم ومسلمة ، ويعتبر هذا الخلق العالى أكثر دلالة على صحة الإيمان وإخلاص القلب والنية ـ قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهدَ كَانَ مَسْئُولاً) الإسراء / ٣٤ .

وجاء العهد في النظم القرآني مضافاً إلى الله سبحانه وتعالى فاكتسب الجلالة والقدسية والإحترام ووجب الوفاء به مهما تكن الظروف والأحوال قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذا عَاهَدْتُمْ) النحل/٩١ . فحسن إسلام المرء لا تؤكده العبادات التى يقوم بها فحسب ، وإنما يؤكده تمثله لتعاليم الإسلام وقيمه وأخلاقه ، ومن أبرزها الوفاء بالوعد . وقد أخذ الفقهاء من هاتين الآيتين وغيرهما

بالقرآن الكريم وجوب الوفاء بالعهد والعقد ـ وهو ما يلتزم بـــه المــرء نحو الآخـــــر .

ولقد إعتبر القرآن الكريم الوفاء بـالعقود والعـهود مـن الفرائـض المفروضة على كل مسلم حتى ولو كانت العقـود والعـهود مـع غـير المسلمين ، والدليل على ذلك لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليـه وسلم بالبراءة من عهود المشركين في أول سورة التوبة اسـتثنى مـن ذلك الذين لم ينقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . حيـث قال تعالى : (إلاّ الذّين عاهَدتُمْ مِن المشرِكينَ ثم لم ينقصُوكُم شَيئاً ولَـمْ يُظاهِرُوا عَليكُمْ أحَداً فأتِموا إليهمْ عَهْدهِمْ إلى مُدّتِهمْ إن الله يُحبُ المُتقيـنَ) الـتوبـة / ٤ .

وقد جعل الإسلام حكم القتل الخطأ للمسلم وذي العهد واحداً ؛ فأوجب الدية والكفارة على القاتل في الحالتين قال تعالى : (وَمَن قَتَلَ مُؤمِنـا خَطأ فتحريرُ رقَبةٍ مُؤمنةٍ ودِية مُسلَمة إلى أهله) النساء / ٩٢ .

وقد بالغ الإسلام في احترام العهد مبالغة لا نجد لها نظـيراً فـي أى تشريع وضعى ـ حيث أوجب على المسلمين احترام العهد الذى يعطيـه أى رجل من المسلمين حراً كان أو عبـداً ـ فمثـلاً إذا عـاهد أدنـى المسلمين منزلة في المجتمع غير المسلمين من المحـاربين نفـذ عـهده ووجب على الجميع احترامه ولا يجوز لأحد من المسلمين نقضه . قـال عليه السلام " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم " . فالوفـاء بالعهد من أسمى صفات المسلم الذى يعمل ويجتهد بتطبيق ما جـاء بـه كتاب الله وما حثت عليه السنة في كل أمور حياته ولو كـان فـي ذلـك مشقة عليه فهو المؤمن حقاً فشريعتنا واضحة جليه تنير قلـب المؤمـن وتشرح صدره إذا عمل بها وينال ثواب الله وجنته قال تعـالى : (وأن ليْسَ للإنسَان إلا ما سَعَى) النجم / ٣٩ .

المداومة على التوبة

لقــد جعل ربنا عز وجل التوبة ملاذا آمنا ، وملجأ حصينا يحتمى به المذنب الذى يعترف بذنبه ، ويؤمل في عفو ربه ، نادما علــــى فعلــه ، غير مصر على خطيئته ، فهو يلوذ بحمى الاســتغفار ، ويتبــع الســيئة الحسنة ، فيكفر الله عنه سيئاته ويرفع درجاته . قال تعالى :
(ياأيُها الذين آمَنُوا تُوبُوا إلى اللّه تَوْبَة نصُوحاً) التحريم / ٨ .

والتوبة هى منارة السالكين ، الذين يجتهدون لبلـــوغ حمـــى ربـــهم ، ويلوذون بكنفه ، كما أنها باب الفلاح والهدايـــة ، والمدخــل الصحيــح للعبادة للإخلاص في العبادة ، الندم على ما فعله الإنسان ممـــا يغضــب الرحمن ، وكثرة التوبة تخفف الذنوب وتحيي الضمير ، وتوقظ الغفــلان، والإنسان يتوب مخافة من الله ويتذلل إلى الله بالرجـــاء أن يقبــل توبتـــه ويعفو عنه ، ويرزقه العصمة من الزلل ، ويمن عليه بالسداد والاســتقامة على طريق الطاعة . قال تعالى : (وَهُوَ الذّى يَقبلُ التَّوبَة عن عِبَـــادِهِ ، ويَعــــفُو عن السَّيِّئاتِ ، ويَعلَمُ ما تَفعَلونَ) الشورى / ٢٥ .

والتائبون هم العائدون إلى ساحة مولاهم من تخبطات الشيطان ، وهم المستغفرون النادمون على ما فرطوا فيه ، السائلون الله الهداية وحســــن العاقبة .

والتوبة طهارة وصلاح ؛ لأن الله عز وجل لا يغلق في وجه الإنســان الضعيف الضال باب التوبة ، ولا يلقيه منبوذا حائراً في التيه ولا يدعــــه مطرودا خائفا من المآب ، ففتح له هذا الباب لتلقاه برحمته ، ويمكنه مــن أن يفيء إلى الحمى الآمن ويثــوب إلى الكنف الأمين !! . قال تعــالى : (فسبح بحمد ربك واستغفره إنها كان توابا) النصر / ٣ .

وعفو الله تعالى عن العصاة من عبـــاده المؤمنيــن مـــأمول بالتوبـــة الصادقة النصوح ، وبالإستغفار عن كـــل مـــا ســـلف مـــن المعـــاصى

والذنوب، وبالعودة إلى رحاب الطاعة والإمتثال لله رب العالمين ، ومصداق ذلك في قوله تعالى : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) النساء / ١١٥ .

فالاستغفار يستنزل به الرزق والغيث قال تعالى : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم) هود / ٥٢ .

وقال تعالى : (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) نوح / ١٠-١٢.

فالإنسان كثيرا ما ينساق إلى مغريات الحياة ، وداعيات الهوى والله سبحانه وتعالى فتح أبوابه لكل التائبين المستغفرين ، وهو سبحانه يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، والتوبة واجبة من كل المعاصي والذنوب لقوله تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور /٣١ .

ومن ظن أن ذنبا لا يتسع لعفو الله فقد ظن بربه ظن السوء ، فكم من عبد كان من إخوان الشياطين فمن الله عليه بتوبة محت عنه ما سلف فصار صواما قواما ؛ لأن التوبة هى النور الذي يمحو ظلمات العصيان، فيرجع العبد إلى نور الرحمن ، ولذا كانت التوبة مفتاح كل فلاح ، ومن تدنس بشيء من قذر المعاصي فليبادر بغسله بماء التوبة والاستغفار، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وإن العبد إذا اتجه إلى ربه بعزم صادق وتوبة نصوح نال رضاء الله وثوابه .

والتوبة النصوح : هى الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والترك بالجوارح، وإضمار التائب ألا يعود إلى مقارفة الذنب مرة أخرى ، والتوبة من الذنب والندم على فعله يخفف عقابه ، وكثرة التوبة تمحو

السيئات والخطايا ــ فطرق الضلال كثيرة ، وطريق الحق واحد .

جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من قال حين يفرغ من وضوئه : اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين، واغفر لي إنك على كل شيء قدير . وجبت له الجنة ، وغفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر " وخير الخطائين التوابون ، والله سبحانه وتعالى بعباده ودود رحيم .

قال تعالى : (واستغفرو ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) هود / ٩٠ .

قال رجل لابن مسعود : "عملت ذنبا فهل لي من توبة ؟ فأعرض عنه ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان بالدموع فقال له : إن للجنة ثمانية أبواب تفتح وتغلق. إلا باب التوبة فإن عليه ملك موكل لا يغلقه إلا يوم القيامة فلا تيأس من رحمة الله "

وقد سعد آدم لأنه اعترف بذنبه ورأى أن التوبة واجبة فتاب إلى ربه وتواضع ولم ييأس من رحمة الله ، فالخوف من الله وحده ، وعدم الخوف ممن سواه ، والتوبة ، والمحاسبة ، والمراقبة ، والتفكر ، والإخبات ، والذل ، والزهد والورع ، وتعظيم حرمات الله ، والتواضع، والافتقار إلى الله ، والغنى عن الخلق ، وكف القلب عن المحرمات ....، كل هذه عبادات عسى الله أن يمن علينا بصلاح قلوبنا ، وتزكية نفوسنا ، وأن يهدينا دائما إلى التوبة والاستغفار طمعا في رضاه وجنته ونعيمها !! .

وربنا الرحيم بعباده لا يرضى عن العاثر الهابط المصر على المعصية وإنما يقبل عثرة الضعيف ليستجيش في النفس الإنسانية الرجاء في مغفرة الله عز وجل (ومن يغفر الذنوب إلا الله) . قال تعالى : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) طه / ٨٢ .

فمثلا الفاحشه أبشع الذنوب وأكبرها ولكن سماحة الدين لا تطـــرد مــن يهوون إليها ولا تجعلهم في ذيل القافلة ، وذلك بأن يذكروا الله ويتوبــوا إليه ويستغفروا لذنوبهم وألا يصروا على ما فعلوا وهــم يعلمــون أنــه الخطيئة ، وأن يكونو في إطار العبودية لله ، والاستسلام له في النهايـــة فيظلوا في كنف الله وفي محيط عفوه ورحمته وفضله .

والتوبة من الذنوب لها ضوابط وأحكام : فإذا كانت المعصيـــة بيــن العبد وربه فشروطها : أن يقلع عن المعصية ، وأن يندم علــى فعلــها ، وأن يعزم إلا يعود إليها أبدا . فالحياة الدنيا ما هـــي إلا لــهو وتفــاخر وسراب خداع وهى في كل الأحوال زائلة والحياة الآخرة هى الباقيــة ، والأعمال الصالحات من توبة واستغفار وذكر لله ومخافة لــــه ســبحانه وخشيته ... ـــ هي الطريق الصحيح لرضا الله عن عبده وينال العبــد على فعلها الجزاء والثواب وهى الطريق إلى جنة عرضـــها الســموات والأرض . ومن رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبــل توبته ويحسن عاقبته ، ويجعله من ورثة جنة النعيم ؛ لأنَّ التوبة تجُبُّ ما قبلها !! . وفي الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب لـــه ؛ ولـــهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئا ، ولا قوبلـــوا بمــا عملوه قبلها فينقض لهم مما عملوه بعدها ؛ لأن ذلك ذهب هدرا . وهــذا من كرم الكريم وحلم الحليم سبحانه وتعالى .

والله سبحانه وتعالى وعد عباده الذين يعملون الصالحات ويتوبــون مــن قريب الجنة قال تعالى : (جنَّاتِ عَـدنٍ التِي وَعَـدَ الرَّحمنُ عِبــادَهُ بالغَيبِ إنَّهُ كانَ وَعْـــدُهُ مَــأتِيـــاً) مـــريم ٦١ . أي أن الجنــات التى يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أى إقامة دائمـــة طيبــة التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب ، أي هي من الغيب الذي يؤمنــون به ، وذلك لشدة إيقانهم ، وقوة إيمانهم والنـــدم علــى فعــل المعــاصى

والإسراع إلى التوبة والتذلل لله سبحانه وتعالى لقبول التوبة فينالوا ما وعدهم ربهم به . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه " رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر " رواه الترمذي .

كثرة الصدقات .

حث الإسلام على الصدقات وجاء ذلك بآيات كثيرة في القرآن الكريم موضحة من تجب عليهم الصدقات ، وللصدقات فوائد كثيرة لفاعلها ومُجزلها فهى تصونه من مكاره الدنيا وتقربه لله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : (إنّما الصّدقاتُ لِلفُقَراءِ والمسَكينِ والعَامِلِينَ عَلَيْها والمؤلّفةِ قُلوبُهُمْ وفي الرقابِ والغَارمينَ وفي سبيلِ الله وابنِ السَّبيلِ فَريضَةَ مِنَ اللّه ، واللّه عَليمٌ حَكيمٌ) التوبة ٦٠ . وقال في آية أخرى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم : (خُذْ مِن أمْوالِهِمْ صَدَقة تُطَهِرُهُم وتُزَكِيهِمْ بها) التوبة ١٠٣ .

وليست الصدقة بالمال وحده ولكن لها أبواب أخرى منها : ذكر الله عز وجل ، والثناء عليه بما هو أهله ، وأن تلقى الناس بوجه طلق ، وأن تميط الأذى عن الطريق ، وأن تعين ذا الحاجة ، وأن تغيث الملهوف ... وغيرها كثير . قال عليه الصلاة والسلام : " كل امريء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ، وإن الصدقة لتطفيء عن أهلها حر القبور ، ويستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته " !! رواه الطبرانى . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : " هل أدلكم على صدقة

يحبها الله ورسوله ؟ أن تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا ، وكل الكذب يكتب على بني آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما " .
وقال عليه الصلاة والسلام أيضا : " من أصلح بين الناس أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ، ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه " .
قال تعالى : (لاخَيرَ في كَثيرٍ من نَجواهُمْ إلاَّ مَن أمر بِصَدَقَةٍ أو مَعروفٍ أو إصلاحٍ بَينَ النَّاسِ ومن يَفعَل ذَلِكَ إبتِغاءَ مَرضَاتِ الله فَسَوفَ نُؤتِيه أجْراً عظيما) النساء / ١١٤ . وقال عليه السلام لعائشة : " يا عائشة لا تردِّي مسكينا ولو بشق تمرة ، وأحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة " !! . وقال أيضا :
"بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها " فالصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والكلمة الطيبة صدقة وهى لا تكلف جهداً ولا مشقة ، ويستطيع الإنسان أن يقولها بيسر ودون كلفة أو عناء . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام من تبسم في وجه غريب فهى صدقة وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً كساه الله من حلل الجنة " .
وقال عيسى عليه السلام : " استكثروا من شيء لا تأكله النار . قيل : ما هو ؟ قال : المعروف فالمعروف صدقة " . وقال عليه الصلاة والسلام :
"عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: ففى الدنيا تزيد الرزق ، وتزيد المال ، وتعمر الديار . وأما في الآخرة : فتستر العورة وتسير ظلاً فوق الرأس ، وسترا من النار " .
وقال عليه الصلاة والسلام : " اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة " والصدقة أربعة أحرف هي:

(ص د ق ه)

فالصاد : تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة .

والدال : تدل على ط ريق النجاة .

والقاف : تقرب المتصدق إلى ربه عز وجل .

والهاء : تهديه إلى الأعمال الصالحات .

قال عليه الصلاة والسلام : " يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق نبيا لا يقبل الله صدقة من رجل له قرابة محتاجون إلى صلة ، ويصرفها إلى غيرهم والذى نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة " . وصدقة السر أفضل لأنها تطفيء غضب الرب ، ومن السبعة الذين يظلهم الله في عرشه رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ". وقال صلى الله عليه وسلم : " من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة ومحا عنه سبعين سيئة " . وقال أيضا : " الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار " .

فالصدقات سيبل إلى رضوان الله وجنته . فعلى المؤمن إن يعمل بما جاء بكتاب الله ويقتدى بسنة رسوله وأحسن الصدقات صدقة عن ظهر غنى .

قال عليه الصلاة والسلام : " داووا مرضاكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة " .

والصدقة أقسام : صدقتك على نفسك ، وصدقتك على غيرك . فأما صدقتك على نفسك فحملها على أداء حقوق الله ومنعها من مخالفة أمره، وقصر يدها عن أذية الخلق ، وصون خواطرها وعقائدها عن السوء . وأما صدقتك على الغير فصدقة بالمال ، وصدقة بالقلب ، وصدقة بالبدن . فصدقة المال بإنفاق النعمة ، وصدقة باليد بالقيام بالخدمة ، وصدقة بالقلب بحسن النية .

تــركُ الحِــقْــــد

الحقد من أسوء الصفات التى يتصف بها الإنسان ، وهـــى الحسـد وإستكثار نعم الله على الغير التى أنعم بها على عباده ، وأيضـــا الـــذى يتصف بصفة الحقد يكون غير راض عن نفسه بما قســم الله لـــه ، و لا يشعر بالقناعة بما عنده فيعيش تعسا غير مطمئن النفس ، ومهما أعطـــى لا يقنع ودائما بصره وقلبه ونفسه على ما عند غـيره ، وتلـك خصلـة ذميمة لأنها تولد الضغينة والكراهية ، وتســـتلزم سبخط الله سـبحانه وتعالى على الحاسد الحاقد ؛ لتمنيه زوال نعم الغير التى أنعــم الله بــها على عباده .

فالمسلم المؤمن الذى يتصف بصفة القناعة ، والرضا بما قسمه الله له من الرزق والعيش فلا يدخل قلبه الحقد على أحد مـــن عبـاد الله ، ولا يتمنى لأخيه في الله زوال نعمه التي أنعم الله عليه بها فيعيش في ســـلام واطمئنان وسعادة ويفوز برضا الله .

حكى أن رجل كلما مر من أمام الرسول عليه الصلاة والسلام يقـول: هذا رجل من أهل الجنة . فأحب رجل آخر أن يعرف ماذا يفعـــل هــذا الرجل من عبادات حتى فاز بهذه الدرجة ، فذهب ليستضيفه وبات عنـده فوجده يفعل كما يفعل هو من عبادات . فسأله لماذا يخبرك النبي بـــهذا ؟ فقال إني أبيت وليس في قلبى حقدٌ لأحد من عباد الله !! .

فأغنى الناس من قنع بما تيسر ، وأصبرهم من صبر على فاقتــــه . قال عليه الصلاة والسلام : " إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحســـنات كما تأكل النار الحطب " . وقال أيضا : " لا يزال الناس بخير مـــا لــم يتحاسدوا " . وقال أبو ذر يارسول الله أوصني . قـــال الرســول عليــه الصلاة والسلام : " أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمــر كلــه . فقــال أبوذر : يا رسول الله زدني . قال الرسول عليه الصلاة والسلام عليـك

بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض ، وذكر لك في السماء . قال أبو ذر : يا رسول الله زدني . قال الرسول لا تخف في الله لومة لائم . قال أبو ذر : يارسول الله زدني . قال الرسول : عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك ، قال أبو ذر يا رسول الله زدني ـ قال الرسول : أنظر إلى من هو تحتك ، ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك " .

فإذا نظر الإنسان إلى من هو أقل منه وحمد الله على نعمه عليه وقنع بما أعطاه الله ورضى بما قسم له ـ فلا ينتابه الحقد ويكون دائما مطمئن النفس مرتاح الفؤاد ، سعيد العيش والحياة ، ويمتلأ قلبه بالصفاء والنقاء لا بالكراهية والحقد ويحب في الله ويتآخى في الله ، ويتمنى الخير لعباد الله . فالقناعة كنز لا يفنى

والمثل العليا للإنسان ما تملكه نفسه من قيم وفضائل لا ما تملكه يده من مال ومتاع وجاه وسلطان . فقد يزول عنه كل ذلك في لحظة ، ولكن الفضائل تسير على الأرض مجسمة فالمسلم القنوع شكور لربه حامد لنعمه ، ويستتر بستر الله فينال رضاء الله وثوابه وجنته .

كتمان السّر

إن من أحب الأعمال إلى الله تعالى حفظ اللسان ؛ فكل كلام إبن آدم عليه لا له إلا أمر بالمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى . وكتمان السر من صفات العقلاء ، وآفة اللغو واغتياب الناس آفة اجتماعية وبيلة ، كما أنها في الوقت نفسه مغصية دينية خطيرة . فالغيبة : آفة من أحظر الآفات فهى تشيع الحقد ، وتهدد الروابط بين الناس . قال تعالى : (ولاَ يَغْتَب بَّعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُ أَحَدُكُم أن يَأكُلَ لَحْمَ أخِيه مَيْتاً فكَرِهْتُمُوه) الحجرات / ١٢ .

والنميمة هي أيضا نقيصة إجتماعية ، حرمها الإسلام وذم من يرتكبها وتوعده بسوء المصير . قال تعالى يذم من يمشي بين الناس بالنميمة : (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) القلم /١١ . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة " . وأكثر خطايا بنى آدم في لسانه ، ومن كف لسانه ستر الله عورته ، ومن أراد أن ينور الله قلبه فليترك الكلام فيما لايعنيه وأن يكون حريصا على كتمان سره هُو ؛ فأضعف الناس من ضعف على كتمان سره . قال الأمام الشافعى

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى
وذنبك مغفورٌ وعرضك صينٌ

لسانك لا تذكر به عورة إمريءٍ
فكلك عورات وللناس السنٌ

وقال آخر :

فكم ساكت نال المنى بسكوته وكم ناطق يجنى عليه لسانه

فإذا ذكرت إنسان بما فيه فقد اغتبته ، وإن ذكرته بما ليس فيه فقد بهته ، وإذا أفشيت سرا اطلعت عليه فمسلكك هذا ليس من خلق المسلم الحق . ولكى نفوز دائما برضا الله فلنبتعد عما يغضبه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم " لايرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة " . وقال أيضا :

"وهل يكبَّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم". وقال صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

فالذي يحبه الله عز وجل يرزقه خلق إمساك اللسان عن أعراض الناس وأسرارهم ، وعدم لما من شأنه أن يؤذيهم ويشوه صورتهم أمام الناس . والمسلم الحق من يكف لسانه عن عورات الناس وأحوالهم وأسرارهم .

الاستقامة وغض البصر

من متطلبات الاستقامة على منهج الإسلام وهـديه غض البصـــر ، فالمؤمن الذي يغض بصره عن محارم الله يطلق الله عــز وجــل نـــور بصيرته ، فكل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محـــارم الله ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، والاستقامة هــي السير السوى الذى ليس فيه اعوجاج ولا إنحراف ، والإلــتزام بالشـــرع والعمل به والاتباع لسنة النبي والتمسك بها ، واستقاموا على محبـــة الله وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة .

ومن صفات المستقيم غض البصر ، وكف الأذى عن الطريـــق ، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال تعالى : (إِنَّ الَّذِيـــنَ قَالُوا رَبُّنا اللَّه ثُمَّ إسْتَقَامُوا فـــلا خَـــوفٌ عَلَيْـــهم ولا هُـــمْ يَحْزَنُـــونَ) الأحـــقـــاف / ١٣ .

والإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيـــف لا تـــهاج فيـــه الشهـــوات فالنظرة الخائنة ، والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ، والجسم العـــاري مما يفلت زمام الأعصاب والإرادة ـــ فإحدى وسائل الإسلام إلى إنشـــاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الإستثارة ، وإبقاء الدافع الفطـــرى العميق بين الجنسين سليما وبقوته الطبيعية فـــالمؤمن الـــذى يخـــاف الله يغض بصره عن كل هذه المحرمات التي تصدر عن المـــرأة ، وعلـــى المرأة أيضا ألا تنظر إلى الرجل بنظراتها الجائعة المتلصصة المثـــيرة ، والله سبحانه وتعالى الذى يأخذهم بهذه الوقاية ـــ فيجب غض البصـــر عن كل إغراء سواء المرأة بالنسبة للـــرجل أو الرجل بالنسبة للمـــرأة ، وأيضا غض البصر عن الذين يمارسون المحرمات كـــالذين يشـــربون الخمر أو الذين يلعبون الميسر ، والذين يصرفون أوقاتـــهم فـــي اللـــهو

والملذات ــ كل هذه المحرمات وغض البصر عنها الطريق لرضا الله سبحانه وتعالى وثوابه .

قال تعالى : (قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أزْكَى لَهُمْ إن اللّه خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) النور / ٣٠ .

والإسلام دين القيم والآداب العامة ، وقد وضع هذه القيم السامية موضع التنفيذ وعرّف الإنسان بحقيقتها الدينية والدنيوية حتى يحفظ نفسه ولا يقع أسيرا لإغرائها ، ومنها أن يغض المؤمن بصره عن كل المحارم وينصرف إلى تحقيق معنى العبودية لله في الأرض في جو من الأمن الخالص فينال ثواب الله ورضاه وجنته . يقول تعالى آمراً عباده بالمبادرة إلى الاستقامة على طاعته والمبادرة إلى الخيرات (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي يوم القيامة إذا أراد كونه فلا راد له .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الواجب على المسلم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من أعظم الواجبات الدينية بعد الإيمان إذ ذكره الله في كتابه الكريم مقرونا بالإيمان ــ قال تعالى : (كُنتُم خَيْرَ أمَّةٍ أخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بالمعَرُوفِ ، وتَنْهَونَ عَنِ المنكَرِ وتُؤمِنونَ بِاللّه) آل عمران / ١١٠ . ودعا إليه الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " . فيجب على المسلم الذى يقوم بهذه المهمة أن يكون حليما يأمر بالرفق ، وينهى باللين لا يغضب إذا لحقه أذى ممن أمره بل يصبر ويعفو ويصفح ، لقوله تعالى: (وأمُر بِالمعرُوف وانه عن المُنكر، واصبر علَى مَا أصَابَكَ إنَّ ذَلِكَ منْ عَزْمِ الأمور) لقمان/١٧.

ففي ذلك الصبر للوصول إلى ما أمر الله به الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الهدف الأسمى والقصد النبيل النهى عن كل ما هو منكر يحرمه الله ورسوله ، وكل ما يفعله العبد من خير تجاه أخيه المسلم يثاب عليه من الله سبحانه وتعالى ويفوز برضاه وجنته ، وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " والذى نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم " رواه الترمذي .

التوكل على الله

وهو من العبادات القلبية . قال تعالى (وتَوكّلْ علىَ الحَيِّ الذِى لا يَمُوتُ) الفرقان / ٥٨ . وحقيقة التوكل أن يعلم العبد أن الأمر كله لله وحده ، وأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن يرضى العبد بكل ما قسمه الله له من نعم أو ابتلاء ؛ لأنه سبحانه وتعالى وحده هو المعطي ، والمانع والخافض والرافع والمعز والمذل ، والنافع والضار ... ، من غير التفات إلى غيره في شيء من ذلك ، ثم يعتمد قلبه على ربه ويستند إليه ، ويطمئن إلى تدبيره ، ولما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال : "حسبي الله ونعم الوكيل " !! . وقال النبي عليه الصلاة والسلام ـ " من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله " . قال تعالى : (ومَنْ يَتوكّلْ عَلىَ الله فَهُو حَسْبُهُ) الطلاق / ٣ . وقال الحسن البصري : " التوكل هو الرضا بفعل الله تعالى " أيْ إعتماد القلب على الله ، وأن تسكن إلى وعد الله ، والتسليم أن تكتفى بعلم الله ، والتفويض أن ترضى بحكم الله عز وجل مفوضا أمره كله إلى الله في جلب مصالح دينه ودنياه ، ودفع المضار ـ إن من يتوكل على الله فهو حسبه وهو يكفيه .

وليس معنى التوكل على الله أن يكف الإنسان عن العمل ؛ فنحن مأمورون بالعمل أولا ثم التوكل بعد ذلك على الله . والدليل قوله تعالى: (وَعَلَىَ اللّه فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) المائدة / ٢٣ . و قال النبي عليه الصلاة والسلام للإعرابي الذى لم يربط ناقته بزعم أن الله إذا شاء أن تضيع فسوف تضيع فما حاجته إلى ربطها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعقلها وتوكل " أيْ أن الإنسان مطالب أولا باتخاذ الأسباب ثم التوكل على الله سبحانه وتعالى بعد ذلك ، فعلى العبد أن يجتهد ويعمل للحصول على رزقه المقدر له من الله ، متوكلا على الله في كل خطوة يخطوها وفي كل عمل يؤديه ، ويكون قانعا راضيا بما هو فيه ؛ لأن كل ما هو فيه من عند الله فينال ثواب الله ورضاه ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " إذا خرج الإنسان من بيته وقال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . يقال له : هُديت وكُفيت ووُقيت وتنحى عنه الشيطان " رواه الترمذي.

حُسن الجوار

وهو من الأمور التي حثنا الشرع الإسلامي الحنيف على مراعاتها ، والحرص عليها ؛ تدعيما لأواصر العلاقات بين الناس ، فيجب على المؤمن أن يعامل جاره بكل حب وود وأخوة يتمنى لجاره ما يتمناه لنفسه من الخير .

فالجار أقرب للمرء من أهله الذين بعدت عنه إقامتهم ، ومن ثم فهو أقرب الناس لجاره عند حدوث المصاعب أو الأزمات التي تحتاج عونا وإغاثة ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن آذى جاره حرمت عليه الجنة . قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : " من آذى جاره فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله " !! .

ومن حق الجار على جاره ـ إن إستعان به أن يعينه ، وإن إستقرضه أن يقرضه ، وإن مرض أن يعوده ، وإن مات أن يتبع جنازته ، وإن أصابه خير أن يهنئه ، وإن أصابه مكروه أن يواسيه ، وألا يستطيل عليه في البنيان إلا بإذنه ،

قال تعالى : (وَاعْبُدُوا اللّه ولا تُشرِكوا به شَيْئاً وبالوالِدين إحْسَاناً وَبـذِي القُربى واليَتامَى والمسَاكِين ، والجَار ذِي القُربَى ، والجَار الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ ..) النساء / ٣٦ . والجار ذى القربى هو الذى بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة ، والصاحب بالجنب هو الجار الملازم ويشمل الخليل في الحضر والرفيق في السفر.

وعن عبد اله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " رواه البخاري . وقال أيضا : " خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره " رواه الترمذي . وقال صلى الله عليه وسلم : " الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان ، وجار له ثلاث حقوق وهو أفضل الجيران حقا . فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، فله حق الجوار، وأما الجار الذي له حقان فجارٌ مسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، وأما الذى له ثلاث حقوق فجار مسلم ذو رحم فله حق الجار ، وحق الإسلام ، وحق الرحم " . وقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لى جارتين فإلى أيهما أهدي ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إلى أقربهما منك بابا " رواه البخاري . وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يشبع الرجل دون جاره " .

وقد حث رسول الله على رعاية الجار فقال : " والله لا يؤمن ، والله

لا يؤمن ، والله لا يؤمن !! قالوا لقد خاب وخسر يارسول الله من هـو ؟ قال عليه الصلاة والسلام : من لا يأمن جاره بوائقه . قالوا وما بوائقه يـا رسول الله قال : الغوائل والشرور وظلمه " رواه البخاري .

وهكذا نرى أن الإسلام دعا إلى حسن معاملة الجار تطبيقا لما جـاء في كتاب الله الكريم ، ونرى أيضا تشديد رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصاته بالجار ، حتى جعل العطف علىالجـار مـن أصـل دينـه ومقومات دعوته ، ذلك لشدة الإرتباط بين الجـيران ، وتحقيقـا لتبـادل المنافع بينهم وكمال التدين ، وحسن الخلق يقضيان بمنع الضـرر عـن الجار بأي شكل من الأشكال ، فلا يليق أن يعـادي الجـار جـاره ، أو يتربص به الشر ، أو يتمنى له الضر ، بل الواجب عليه أن يتمنـى لـه الخير ويجتهد في إيصاله إليه ، وكف الضرر عنه ، وقد سقنا جانبا مـن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي فيها بحسن معاملة الجـار ، فعلى من يحب أن يرضي الله ورسوله فليعمل بذلك التوجيـه العظيـم ؛ جتى يحقق مرضاتريه ، ويسعد بحسن جوار إخوانه ومخالطيه .

ولـقـد وصانا الرسـول بثلاثة أفعال حميدة ننال عليـها ثـواب الله ورضاه ، فعن أبي شريح الخزاعى رضى الله عنه أن النبـي صلـى الله عليه وسلم قال :

"من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمـن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " . وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يؤمـن أحدكـم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "

وصايا ونصائح

ولعنا بعد ما ذكرنا عن الإيمان والأعمال الصالحات ، بما أمر الله بـه والبعد عما نهى عنه سبحانه وتعالى ، والإقتداء بسنة رسوله صلـى الله عليه وسلم ، لأن هذه هي السبيل إلى الجنة . قال تعالى (وَمَن يُطِـعِ الله ورَسُولهُ فقدْ فازَ فوْزاً عظيماً) والرسول عليه الصلاة والسلام وضـح الطريق وضوحا فإليكم الطريق كما رسمه رسول الله صللـى الله عليـه وسلم في قوله : " تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلـها كنـهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك " . وقوله صلى الله عليه وسلم : " كلكم يدخل الجنـة إلا من أبي ! قيل ومن يأب يا رسول الله ؟ قال : " من أطـاعني دخـل الجنة ، ومن عصاني فـقـد أبـى " . فالرسول عليه الصلاة والسـلام في هذين الحديثين قد بين الطريق ، ورسمه واضحا لكل ذي بصـيرة ، فهلموا أيها المسلمون وأيتها المسلمات لنسير سـويا إخوانـا متحـابين ، وأصدقاء متعاونين ، ونتزود من طاعة الله ، والعمل بما أمر به ، والبعـد عما نهى عنه ، وطاعة رسوله والعمل بسـنته لنحظـى برضـوان الله وجنته . قال تعالى :

(ومَا ءاتاكُم الرَّسُول فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتهُوا واتقوا اللـه إنَّ اللـه شَديدُ الـعـقـابِ) الحـشـر /٧ .

وهــذا نــداء للـغـافـلـين

أيها السادرون المغيَّبون اللاهـون المتكـاثرون بـالأموال والأولاد وأعراض الحياة أنتم مفارقون . أيها المخدوعون بما أنتم فيـه ، أنتـم تاركون ما تتكاثرون فيه وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيـها ولا تفاخر ، استيقظوا وأنظروا إن هذا كله فان ، فلتشغل القلوب بطاعـة الله، والعمل ليوم الحساب الرهيب ، وترك مغريات الحياة الدنيا ، وشـواغلها

التي يهرع لها الفارغون.

القدوة الصالحة وأثرهـا في المجتمع

للوالـدين الأثر الكبير في تنشئة الأبناء تنشئة دينية قويمة ، ترتكـز على طاعة الله والتزام ما أمر به والابتعاد عما نهى عنه . وهـذا هـو الأساس في تكوين شخصية الإنسان منذ الطفولة ، واكتسـابه العـادات والتصرفات والسلوكيات الإسلامية إذا كانت الأسرة تتحلى بحظ طيـب من تلك الصفات ؛ لأن الإنسان كائن اجتماعي ، لا يعيش معزولا عـن بني جنسه ، وهو منذ طفولته تتكون العادات والسلوكيات لديه ، وتظـل في النمو والاطراد والوضوح إلى أن يكبر ويصبح إنسانا مكتملا .

ومن أهم العوامل التى تؤثر في تكوين هذه الصفات والعادات المـهد الأول الذى ينشأ فيه الطفل إنه (المنزل) الـذى فيـه يتشـرب أنمـاط السلوك ومختلف القيم والعادات ، ولا شك أن للمـنزل بـهذا الاعتبـار أخطر الأدوار في تكوين الإنسان وشخصيته ، فالطفل منـذ أن يولـد وحتى يبلغ خمس سنوات ترعاه أمه رعاية كاملة فإن كانت الأم صالحـة صلحت رعيتها .

والله سبحانه وتعالى هيأ المرأة بحكم تكوينها لوظيفة الأمومة فجعـل عاطفة الحب لديها أقوى فيجب أن تستغل فيما يفيـد ، والقـدرة علـى الصبر في تربية الأبناء أعظم ، وجعل منها صدرا حانيـا فـهى التـى ترتبط حياتهم بحياتها إرضاعا وتربية وتهذيبا ، فالطفل يقلدها فـي كـل حركاتها ، وأفعالها وسكناتها وألفاظها فهي الركـيزة الأولـى لتوجيـه الأطفال ، وتربيتهم التربية الصحيحة ، ونشأتهم النشأة القويمـة فـالمرأة نصف المجتمع ، وهى الأم ، والأخت ، والابنة ، والزوجة ، والخالـة ، والعمة إذا صلح أمرها صلح نصف المجتمع بل المجتمع كله .

فلا بد أن تكون الأم منبتا طيبا ، ومدرسة أخلاقية ترضع أبناءها مبادىء اليقين ، وآفاق المجد وتطبعهم بأخلاق الدين ومبادئه ، فهى الدافع الأول للاقتداء .

ولذلك أعتنى الإسلام بالطفولة وعمل على حمايتها من الأخطار التى قد تتعرض لها تقديرا منه لدورها وما يبنى عليها من آمال ، فالأطفال رواد الغد وبناة المستقبل ، لذلك أوجب الإسلام شروطا لبناء الأسرة المسلمة منها :

أنه طالب الرجل أن يدقق فى اختيار زوجته ، وألا يعتمد على ذلك على عاطفته وحدها ، حتى يطمئن فيما بعد على سلامة مايأتى عن طريقها من أطفال – قال الرسول عليه الصلاة و السلام : " تخيروا لنطفكم إن العرق دساس " ، وقال أيضا : " إياكم وخضراء الدمن " !! قيل وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء " . وقال أيضا : " تنكح المرأة لحسبها ، ومالها ، وجمالها ، ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك " .

وليس لهذا التدقيق فى اختيار الزوجة مقصد إلا لأنها ستكون أمًّا تربِّي أجيالا فالأم الفاضلة خير من ألف معلم ، وصدق الشاعر القائل :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

فهى أول مدرسة يتتلمذ عليها الطفل فى الحياة ، ويتلقى عنها ما يكوّن شخصيته ، ولذلك لابد أن نتعهد الأطفال منذ بداية الرضاعة فيتخير الأب لولده المرضع الطيب ذات الدين المؤدية لفرائض الله من صلاة وصوم و زكاة ذات الألفاظ السامية الهادئة الأعصاب ... ، فهذه السلوكيات يقتدى بها الأبناء منذ الصغر ، والطفل بطبيعته ميال للتقليد وهو كالعجينة سهل التكوين .

الطفولة

ومن المهم أن تتعلم المرأة المسلمة بعض الأحكام الفقهية كأحكام الطهارة وأحكام الصلاة ، والزكاة ، والصيام حتى تكون ذات وعي ديني؛ لينطبع على الأبناء ، لأن الدين أساس السلوكيات والقيم والمبادىء ، فهى منبعثة منه وعليها رفعة المجتمع والنجاح فى الحياة ، وتعليم أهل البيت فريضة شرعية لابد أن يقوم بها رب الأسرة إنفاذا لأمره تعالى فى الآية الكريمة : (يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) التحريم /٦ .

وهذه الآية أصل فى تعليم أهل البيت وتربيتهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وأمرهم بطاعة الله ، واجتناب معاصيه . فقد يحدث فى غمرة مشاغل الرجل ووظيفته وارتباطاته قد يغفل عن تفريغ نفسه لتعليم أهله فمن الحلول لهذا أن يخصص يوما لأهل بيته وأولاده ، يجتمع معهم فيه ويحثهم على عبادة الله ، وقراءة القرآن وتشجيعهم من يفعل ذلك منهم بالحوافز المادية والمعنوية .

وليس الأم وحدها صاحبة الأثر في القدوة الحسنة ؛ إذ للأب أيضا دور مهم في تربية أبنائه وإكسابهم جميل الصفات وكريم السجايا ، فالتزامه بمبادىء الدين وحرصه على تأديتها ، وكأن يأخذ أبناءه معه للمسجد للصلاة لحثهم على عبادة الله ، ويجب على الأم والأب عدم اظهار الخلافات العائلية أمام الأولاد حتى لا يتزعزع تماسك البيت ، ويضر بسلامة البناء الداخلي ، ويتشتت الشمل بالاضافة الى الأضرار النفسية على الصغار فلنحرص على ذلك وليحاول الوالدان إخفاء تلك الخلافات عند حدوثها . والإسلام يلزم الوالدين عنما يبلغ الطفل سبع سنوات تعليمه أمور دينه وتلقينه فرائض الإسلام وعلى رأسها الصلاة .

يقول صلى الله عليه وسلم : " مروا أولادكم بالصلاة لسبع ،

واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع " وكالصلاة بقية أركان الإسلام التي يجب تلقينها للأبناء بأسلب سهل ، وطريقه مشوقة ، تجذب الطفل إلى الدين وتحببه فيه ، ثم يلي بعد ذلك تعليمه كل شئون الحياة التي تخلق منه إنسانا نافعا لنفسه وأهله والناس من حوله.

قال عليه الصلاة والسلام : " كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته " . وما أجمل أن يجمع الأب أولاده ليقرئهم القرآن ويعلهم أصول العقيدة الإسلامية ، ويعلمهم الآداب والأذكار الشرعية -كأذكار الأكل ، والنوم ، والعطاس ، والسلام، والاستئذان . وليس هناك أشد تنبيها وأقوى تأثيرا في الطفل من سرد القصص الإسلامية على مسامعه ، واقتنائها في البيت مثل ، قصة نوح عليه السلام ، وقصة إبراهيم عليه السلام ، وقصة موسى عليه السلام ، وقصة يونس في بطن الحوت ، وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقصص الغزوات وغيرها ، وهي تغنينا عن القصص الخرافية المخيفة التي تفسد واقعية الطفل وتورثه الجبن والخوف .

وأقوم منهج سليم لإعداد الطفل إعدادا سويا تلك الوصية القرآنية التي يلقيها لقمان الحكيم على مسامع ولده ، والتي جاء فيها كما حكى القرآن الكريم : " وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر و اصبرعلى ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس و لاتمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . وأقصد في مشيك و أغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) سورة لقمان/١٩ . وهذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم

ليمتثلها الناس ويقتدوا بها .

فالإطار السليم لذلك المنهج التربوي القرآني يعتمد على الإيمان بـــالله الواحد لا شريك له ، مع التمسك بتلك الواجبات الدينيـــة التـــى تـــترجم الإيمان بالله ، إلى واقع عملي وسلوكي منظم ، ولقمان بن عنقـــاء بـــن سدون وابنه اسمه ثاران وذكره الله بأحسن الذكر و أتاه الله الحكمة وهـــو يوصى ولده الذى هو أشفق عليه عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحـــه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه بأن يعبد الله و لا يشرك به شـــيئا . لكـــل هذا استحق لقمان الحكيم الأب المثالى أن يخلد ذكره على مر الدهـــور . فخصص الله سبحانه وتعالى سورة قرآنية تحمل اسمه تكريما وتعظيمـــا ، وطالبنا بالإلتزام بوصيته آباء وأمهات حتى تنشيء أطفالنا علـــى هـــدي منها ، ومحاولة الاقتداء بها .

من هذا المدخل نرى أن الشرائع الســـماوية زودت الإنســـان بـــالزاد الصالح ورسمت الطريق الواضح ليقطع الإنسان حياته ويشـــعر بـــأمن وسعادة واستقرار ولن يتم هذا إلا إذا كان هناك قدوة تكون هى العنصـــر الصالح أمام الأبناء والقدوة تتمثل فى الأب والأم لأنهما هما اللذان تقـــع عليهما عين الطفل منذ الصغر وينطبع فى ذهنه ما يجرى فـــى محيـــط أسرته بل يقلد ما يراه من تصرفات الأبوين .

فالبيت قبل المدرسة مسئول عن تنشئة الطفل وتهذيب عواطفه وتقويـــم سلوكه والأولاد أمانة والأب مسئول ، والأم مسئولة عن تلـــك الأمانـــة فالقدوة الصالحة من الآباء والأمهات تصل بالأبناء الى ما نرجـــوه مـــن خير وفلاح لأنفسهم ولوطنهم لأن الأسرة هى اللبنة الأولـــى فـــى بنـــاء المجتمع ، وإذا أرادت أن تصل بأبنائها الى المستوى التربوى الرفيع فلـــن تجد خيرا مما وصفه الإسلام ، وحدده الرسول عليه الصـــلاة والســـلام فأنشأ رجالا ، وصنع أبطالا دانت لهم الدنيا وخضعت لهم الرقـــاب فـــى

المشارق والمغارب بعد أن جعلوا كلمة الله هى العليا .

فالسلوكيات و الأخلاق مكتسبة من الدين ومبادئه وأهدافه ، فشخصية المسلم تقوم على العقيدة ، و العبادة والأخلاق فلابد أن نتعهد الطفل من الرضاعة باختيار الزوجة الصالحة من المنبت الطيب الصالح – قال الشاعر:

ولم أر للخلائق من محل　　يهذبها كحضن الأمهات

فحضن الأم مدرسة تساقت　　بتربية البنين والبنات

وكذلك نتعهده بتوجيهه وإرشاده الى العبادات كالصلاة والصوم والزكاة وتوجيهه أيضا الى السلوكيات القويمة كمساعدة الضعفاء ، والنهى عن المنكر وقول الصدق وعدم الكذب ، ومعرفة الحلال والحرام ثم نتولاه شابا بالتوجيه .

إرشادات للحياة

يقول أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

" الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت بينهما ، ونحن فى أضغاث أحلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل . وإذا زللت فارجع ، واذا ندمت فأقلع واذا جهلت فاسأل ، واذا غضبت فأمسك ".

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة يوم ينشق عنه قبره ، فيقول له هل تعرفنى ؟ فيقول : ما أعرفك.فيقول أنا صاحبك القرآن ، فيعطى الملك بيمنيه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل

الدنيا والقرآن شفاء القلوب بقراءته يطمئن الفؤاد ، ويذهب الغم ، وينفرج الهم .

من مشكاة النبوة

قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

"من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله " !! .

يقول الإمام الجنيد رضي الله عنه :

أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات و إن قل عمله وعلمه :

"الحلم ، والتواضع ، والسخاء ، وحسن الخلق " . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ثلاث خصال تنتفع بها : متى لقيت أحد من أمتى فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأولين ".

حوار طريف

بين الحسين رضى الله عنه وأعرابي :

جاء أعرابي للحسين يسأله . فقال له الحسين : إني سائلك عن ثلاث فإن أجبت عن واحدة فلك ثلث الصرة ، وإن أجبت عن اثنين فلك الثلثان، وعن الثلاثة فكلها !! . فقال الأعرابي : اسأل ؟ فقال الحسين رضي الله عنه أي الأعمال أفضل ؟ قال الأعرابي : الإيمان بالله . قال الحسين : فما نجاة لبعبد من الهلكة ؟ قال الأعرابي : الثقة بالله . قال الحسين : فما يزيد العبد رفعة ؟ قال الأعرابي : علم معه حلم . قال الحسين : فإن أخطاه ذلك ؟ قال الأعرابي : مال مع كرم . قال الحسين:

فإن أخطاه ذلك ؟ قال الأعرابي : فقر مع صبر . قال الحسين . فإن أخطاه ذلك ؟ قال الأعرابي : فصاعقة تحرقه !! . فضحك الحسين وأعطاه الصرة بأكملها.

إن فضل الله عظيم

إذا سألت لا تسأل إلا الله ، وإذا إستعنت فاستعن بالله .

جلس رجلان ضريران على طريق أم جعفر زبيدة العباسية ، وكانت معروفة بالكرم . فكان أحدهما يقول : اللهم ارزقني من فضلك . والآخر يقول : اللهم ارزقني من فضل أم جعفر !! وكانت تعلم ذلك منهما ، فكانت ترسل لطالب فضل الله درهمين ، وترسل لطالب فضلها دجاجة مشوية وفي جوفها عشرة دنانير !! . فيأخذها ويبيعها لصاحبه بالدرهمين التى أرسلتهم له وهو لا يعلم ما في جوف الدجاجة ! وأقاما على ذلك عشرة أيام . وجاءت أم جعفر لطالب فضلها ــ وقالت له أما أغناك فضلنا ؟ قال الرجل : وما هو ؟ قالت مائة دينار في عشرة أيام . قال لها : بل دجاجة أبيعها لصاحبي بدرهمين . قالت أم جعفر هذا طلب من فضلنا فحرمه الله ، وهذا طلب من فضل الله فأعطاه الله !! وصدق الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) الحديد / ٢٩ . ويقول النبي عليه الصلاة والسلام : دعوة الرجل لأخية بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ويوكل الله ملكا يقول آمين ولك مثل ما دعوت.

دعاء سيدنا الخضر عليه السلام

اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمتيها علي فاستعنت بها على معصيتك ،

وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته في ضياء النــهار أو سواد الليل ، في فلاء أو خلاء ، أو سر أو علانية ياعليم يا بصــــير " .
يقال هذا الدعاء صباحا ومساء طمعا في رضـــا الله ســبحانه وتعــالى .
وعن الخضر عليه السلام أيضا قال :
إذا دعا المريض بهذا الدعاء صباحا ومساء ســبعا عافـاه الله بمشــيئته وهــو : اللهم لا تشمت أعدائي بدائي ، واجعل القرآن العظيم شــفائي ودوائي ــ فأنا العليل وأنت المداوي !! .
ثلاث دعوات مستجابات :
1 ــ دعوة المظلوم ٢ ــ دعوة المسافر ٣ ــ دعوة الوالد لولده.

من الأذكار النبوية الشريفة

أستغفر الله لى وللمسلمين
أستغفر الله لى وللمذنبين
أستغفر الله لى وللخلق أجمعين
أستغفر الله غفار الذنوب
أستغفر الله ستار العيوب
أستغفر الله حتى نقلع عن المعاصى ونتوب
أستغفر الله حياء من الله
أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
2 ــ سبحان الأبدي الأزلي ــ سبحان الواحد الأحد ــ ســبحان الفـرد الصمد ــ سبحان من رفع السماء بلا عمد ــ سبحان من بســط الأرض على ماء جمد ــ سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عددا سبحان من قسـم الرزق ولم ينس أحدا ــ اللهم إجعل أول يومنا هذا صلاحــا ، وأوســطه نجاحا ، وآخره فلاحا ــ يا أرحم الراحمين .

3 ــ بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ــ بسم الله ما شــاء الله لا يصرف السوء إلا الله .

بسم الله ما شاء الله . ما كان من نعمة فمن الله .

بسم الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

بسم الله خير الأسماء . بسم الله رب الأرض والسماء

بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهــو السميع العليم .

بسم الله على ديني ونفسي ــ بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي .

4 ــ سبحان فالق الإصباح . سبحان رب المساء والصباح ــ سـبحان من يسبح له ما في الأرض وما في السماء ــ سبحان الله والحمـد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اللهم لـك الحمد حمدا دائما عند كل طرفة عين وتنفس نفس . اللهم لك الحمد كمـا ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ــ الحمد لله حمـدا يوافـى نعمـه ويكافيء مزيده .

من الأدعيــة القرآنيــة

ما ورد منها في سورة البقرة :

(ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة جسنة وقنا عذاب النار) آية/٢٠١.

(ربنا لا تؤخذانا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولاتحمل علينا إصــرا كمـا حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، وأعــف عنا وأغفر لنا وإرحمنا أنت مولانا فأنصرنـا علــى القــوم الكـافرين) آية/٢٨٦.

سورة آل عمران :

(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنـــك أنـت الوهاب) آيـــة / ٨ .

(ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لايخلف الميعاد) آية ٩.

(ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنـــا وانصرنـــا علـــى القوم الكافرين) آية ١٤٧ .

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) آية ١٩١

(ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين مـــن أنصـــار) آيـــة ١٩٤.

(ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فأمنا ربنا فاغفر لنـــا ذنبوبنا وكفر عنا سيئاتنا توفنا مع الأبرار) آيـــة / ١٩٣ .

(ربنا وءاتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تحزنا يوم القيامة إنك لا تخلـــف الميعاد) آيـــة ١٩٤ .

سورة الأعراف :

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونـــن مـــن الخاســـرين) آية/٢٣.

(أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) آية / ١٥٥ .

ســـورة يـــونـــس :

(ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكـــافرين) آية ٨٥ ، ٨٦ .

(رب إنى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنـــى أكن من الخاسرين) هـــود / ٤٧ .

(رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي مـــن لدنك سلطانا نصيرا) الإســـراء / ٨٠ .

(رب اشرح لي صدرى ، ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقــهوا قولي) طـــــه / ٢٨,٢٧,٢٦,٢٥ .
(رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) المؤمنون / ٢٩.
(رب أعوذ بك من همزات الشياطين) الـــمــؤمنون / ٩٧ .
(وأعوذ رب أن يحضرون) المؤمنون / ٩٨ .
(رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) الــمــؤمنون / ١١٨ .
(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذيــن كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) الــممتحنة / ٤ــ٥.

ومن دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام

١- اللهم إنى أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا إليـــك ، ومـــن الخوف إلا منك.

٢- اللهم إنى أعوذ بك أن أقول زورا ، أو أغشى فجورا أو أن أكون بك مغرورا

٣- اللهم إنى أعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعضـــال الـــداء ، وخيبـــة الرجاء .

٤- للهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب .

٥- اللهم اغفر لى وارحمنى وعافنى واهدنى وارزقنى .

٦- اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنـــت ومـــا أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقـــدم والمؤخـــر لا الـــه إلا أنـــت سبحانك وأنت على كل شيء قدير .

٧- اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

٨- اللهم إنى أعوذ بك من سوء الخلق وهم الرزق يا أرحم الراحمين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما استفاد المرء بعد تقـــوى الله

خيرا من زوجة صالحةإن نظر إليها سرته ، وإن أمرها طاعتـــــه ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى عرضه وماله)

و قال أيضا : (عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنـــــة ، وإيـــاكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : قال لى جبريل : (يا محمد عش مـا شئت فإنك ميت ، وأحبب ما شئت مفارقه ، واعمـــل مـــا شـــئت فـــإنك ملاقيه)

والأصول الثلاثة التى يجب على الإنسان معرفتها :

١- معرفة العبد ربه ٢- معرفة العبد دينه ٣- معرفة العبد نبيه

معرفة الله بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمـــر ، ومن مخلوقاته - السماوات السبع والأرضون وما فيهن ومـــا بينـــهما . روى الشهاب عن القشيرى أنه مرض له ولد فرأى النبي فى منامه فشـكا إليه فقال له : اقرأ عليه آيات الشفاء ففعل وعوفى ولده وهى :

(١- ويشف صدور قوم مؤمنين) التوبة/١٤

(٢- وشفاء لما فى الصدور) يونس/٥٧

(٣- فيه شفاء للناس) النحل/٥٧

(٤- وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاسراء/٨٢

(٥- وإذا مرضت فهو يشفين) الشعراء/٨٠

(٦- قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) فصلت/٤٤

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل -(ادع بهذا الدعاء لوكــــان عليك دين مثل جبل أحد لأدى الله عنك : اللهم مالك الملك تؤتى الملـــك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشـــاء ، بيدك الخير إنك على كل شيئ قدير . رحمان الدنيا والآخرة تعطيهما من تشاء وتمنعهما من تشاء إرحمنى رحمة تغنـــنى بها عــــن رحمـــة مــــن

سواك) رواه الطبراني .

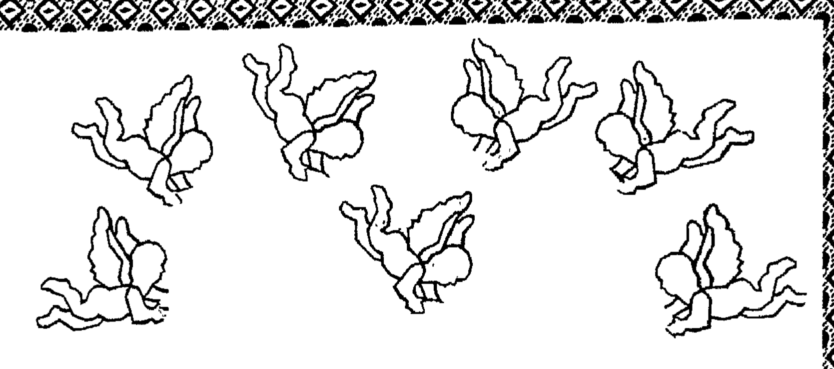
من وصايا لقمان لابنه

قال لقمان الحكيم لابنه : أى الخصال خير ؟ قال الدين : قال لقمان وان كانت إثنتين ؟ قال : الدين والمال . قال لقمان : وإن كانت ثلاث ؟ قـال : الدين والمال والحياء . قال لقمان : وان كانت أربعة ؟ قـــال : الديـــن و المال والحياء وحسن الخلق . قال لقمان : وان كـــانت خِمســـة ؟ فــزاد السخاء . فقال لقمان : يا بني من اجتمعت فيه الخمـــس خصـــال الديـــن والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء فهو تقي نقـــي ولله ولـــي ومـــن الشيطان بري !! .

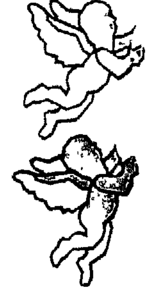
* * * * *

فهرس الموضوعات

• • • • •



معالم على طريق الجنة



للأستاذة

بدرية على عبدالله عبدالسلام

من رائدات التعليم

الفتح

للطباعة والنشر

خلف ٤٤ش سوتير_أمام كلية حقوق الإسكندرية

ت: ٤٨٧٠٢٠٣-٤٨٧٠٢٠٤ ف: ٤٦٤٠٦٦٤